

أخلاق الطبيب

رسالة لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي إلى بعض تلاميذه

تقديم وتحقيق

دكتور عبد اللطيف محمد العبد

الطبعة الأولى

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

مكتبة

خازن التراث

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

اهداءات ٢٠٠٣

اسم المرحوم الأستاذ/محمد سعيد النسيبي

الإسكندرية

أخلاق الطبيب

رسالة لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي إلى بعض تلاميذه

تقديم وتحقيق

دكتور عبد اللطيف محمد العبد

الطبعة الأولى

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

مكتبة

دار التراث

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

حمداً وشكراً لله سبحانه ، وصلاة وسلاماً على السراج المنير
محمد ، الذي فاز بأكرم وأشرف تزكية من ربه : « وإنك لعلى
خلق عظيم » .

وبعد :

فقد شئت حكمة الله تعالى أن يكون إنشاء الحضارة منوطاً
باجتهاد الإنسان ، يشيدها بفكره ووجدانه ، ويسعد بها في حياته .
ولا يحقق هذا إلا عاقل طلمعة ومفكر حر ؛ فلا تقوم حضارة على
جهل وذلة وخمول .

وإن مؤلف هذه الرسالة من المفكرين الأحرار ، والأعلام
المصلحين ؛ حيث ساهم في نشر الخير ، وشارك في تدعيم النهضة ،
بعقل حر متطور ، وسلوك متزن ، وخلق كريم .
ذلك هو : أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي .

وقد ولد بالرى عام ٥٢٥٠ = ٨٦٤ م . ثم توفى ببغداد فى ٥
من شعبان عام ٥٣٣ = ٢٥ اكتوبر ٩٢٥ م ، أى عاش مايقرب
من اثنين وستين عاماً .

وقد نشأ الرازى بالرى ، موطن العلم والأدب والنبوغ ، فنهل
من معين هذه البيئة ، وأعرض عن التجارة والصيرفة والغناء ، معتكفاً
فى محراب العلم ؛ للارتواء من تراث السابقين : عرباً ويوناناً وهنوداً .
واتسم الرجل بالذكاء والفطنة . والهدوء والرزاقية ، وتحلى بحب
الرحمة والعدل ، والنصح والعفة ، والإقلال من مما حكا الناس
ومجاذبتهم ، بالإضافة إلى بره بالفقراء والمرضى ، وحسن تعهده
للطلاب .

وكان الزهد طابعاً ملازماً له فى مسكنه ومركبه ومأكله ؛ ولا
عجب أن يموت تاركاً زوجاً صبوراً ، دون درهم أو ولد .

نعم كان فى بلاط الأمراء ، لكنه لم يسمح لنفسه إلا بأن يكون
طبيباً أو ناصحاً لهم . ولو شاء أن يكون قاروفى المال لفعل ؛ فقد
كانت الظروف مواتية له ؛ حيث كان رئيس الأطباء ، وأثيراً لدى
الأمراء ، لكنه كان يدرك بحق ثمرات الزهد والفكر ، وهو لم
يخلد إلا بهما .

صحيح أن الفيلسوف قنوع ، لكنه في البحث عن الحقيقة غير قنوع . وهو في نفس الوقت يدرك أنه إنسان بقدرة محدودة . وهو مع الاعتدال يحاول الكمال .

وقد كان أبو بكر الرازي بعيد النظر ، حيث كتب سيرته بنفسه ؛ خوفاً من تحريفها على يد الخصوم ، وما أكثرهم ! .

وقد صحح في هذه السيرة كل ما حاول الخصوم أن يزيّفوه عليه . وأثبت أنه فيلسوف نظراً وتطبيقاً ، مستدلاً بحسن سيرته ومؤلفاته العديدة التي تهدف إلى إسعاد الإنسان .

وقد مجده هذا المفكر العظيم كل فكري فلسفي حر ، وأشاد بالفلاسفة ودورهم الكبير في المجتمع الإنساني .

وقدم للناس خلاصة أفكار الفلاسفة . وخلاصة أفكاره ، معتزلاً بمؤلفاته وعلمه ، حتى صار فيلسوف الوضوح والخير ؛ والعقل والتجربة .

وكان الرازي مؤمناً بالله تعالى ، وبجميع صفات الكمال التي تليق بذاته المقدسة ؛ ومؤمناً كذلك برسول الله وأنبيائه ، وبتعاليم الأديان السماوية ؛ وقد أبغض المذاهب المنحرفة والمتزمتة كالدهرية وغيرهم من أصحاب الجدل .

والرازى - فيلسوفاً - لم يغفل التأكيد على ضرورة الأخلاق ،
فعلينا تشاد الحضارة . تأمل مثلاً الطبيب وقد تجرد من الأخلاق
السكريمة ، إنه يصبح سفاحاً للدماء ، فضاخاً للأعراض .

وكان الرازى فيلسوفاً حقاً ؛ إذ كان يأسى للأدواء الروحية ،
يفشخصها ، ويصف لها الدواء الناجع ، فهو ليس بمعزل عن المجتمع ،
بل يطالب بإصلاحه عن طريق إصلاح الروح . ويقدم من نفسه
قدوة للناس قولاً وعملاً ، منها الناس إلى أن يكونوا أقوياء
الإرادة ضد الملذات التى تفقد سعادتهم ، ويطالبهم بإعمال عقولهم
فى قمع الهوى وتذليل الشهوات .

ولا يكون الفيلسوف عظيماً إلا إذا آمن بالتجربة . ففيها سمو
عن التقليد ، وارتفاع عن ادعاء العصمة والجمود ، وفيها كذلك تفاؤل
وتقدم وابتكار . وهو ما يشكل جزءاً كبيراً من سعادة الإنسان
وحريته . وبهذه الروح كانت فلسفة الرازى ومعرفته .

وكان الرازى يشق طريقه نحو الرقى الفسكرى معرضاً عن
الجاهلين ؛ فليس لديه وقت يضيعه فى الجدال والمغالطة مثلهم ، فقد
كانت لديه صنعة أخرى هى الطب ، الذى أعمل فيه عقله تحصيلاً
وتجريباً وتأليفاً ؛ لينخف عن الإنسان آلامه ، فيحقق له جزءاً من
الهناء والسعادة .

ومن المألوف أن يتعلم الإنسان منذ الصغر ؛ وقد يشهد العبقري
عن القاعدة والمألوف ؛ فقد مال الرازي إلى تعلم الطب على كبره .
وقد تجاوز الثلاثين ؛ دليل ذكائه ووعيه ، فلم تقف السن حاجلاً
بينه وبين المعرفة .

وقد برع في الطب براءة السابقين علماً وعملاً ، وركز على الجانب
الأخلاقي فيه ، فهما عنده لا ينفصلان بحال . ولقب بحق ، أبا
الطب العربي ، ودجالينوس العرب ، حيث عد من الأطباء العلماء
وشهد له بالتفوق على أعلام الطب من أمثال : ابن سينا ، وابن
رشد ؛ وابن ميمون .

هكذا كان الرازي ، وكانت فلسفته إنسانية شاملة .
تلتحم بالواقع ؛ وتبرع عنه وتسمو به .
وقد قدره المنصفون في الشرق والغرب ؛ حيث لمسوا عمق فلسفته
وابتكاره في العلم .

وحسبنا قول ابن النديم عنه إنه : « أوحده دهره » ، وفريد
عصره ، ، وقول ابن خلكان عنه في الفلسفة : « قرأها قراءة رجل
متعقب على مؤلفيها ؛ فبلغ من معرفة غوارها الغاية ؛ واعتقد
الصحيح منها ؛ وعلل السقيم » .

وحسبنا أيضاً شهادة الشهرزورى وهو من ألد خصومه :
« إن الرازى قد بلغ الغاية فى الطب ، ويشهد د . بنيس أن الرازى
أستاذ لمدرسة فى الفلسفة ، كما هو أستاذ لمدرسة فى الطب .

وشهد ستابلتون الإنجليزى بعد دراسته لـ كيمياء الرازى بأنه
بقى بلا ند حتى يزوغ فجر العلم الحديث بأوروبا . ويقول عنه كوربان :
« إنه طبيب شهير وشخصية إيرانية فذة » .

وقد دعت صحيفة المقتطف إلى تعيين ٣٠ من يناير ١٩٣٠
للاحتفال بالعيد الألفى للرازى فى الهيئات الطبية للأمة العربية .

وعلمت مدرسة الطب بباريس صورة ملونة للرازى إلى جانب
ابن سينا وابن رشد وخصصت جامعة برنستون الأمريكية أعظم
فاحية فى أجل مبانيها لعرض مآثره .

وما أحوجنا إلى أن نكون فى مقدمة الذين عرفوا قدر
الرازى ، وأن نضعه فى منزلته الحقيقية . وقد آن الأوان أن يلتفت
رجال الطب عندنا لمراجعة التراث الطبى لدى الرازى ، عسى أن
يقنعوا منه البشرية فى العصر الحديث ، فهم أقدر الناس على تحقيق
هذا الحلم .

أما الجانب الفلسفي فقد أتيح لي أن أدرسه حسب المادة الموجودة ، وذلك في رسالتى للدكتوراه « فلسفة أبي بكر محمد زكرياء الرازى التى حصلت بها على مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٥ من قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .

وأثناء دراستى للدكتوراه عثرت على أحد المخطوطات للرازى لم يسبق نشره وعنوانه : « رسالة لأبي بكر محمد بن زكرياء الرازى إلى بعض تلامذته ».

وهو مخطوط بدار السكتب المصرية رقم ١١٩ طب تيمور ضمن مجموعة كتبت عام ١١١١ هـ من ص ١٦٦ = ١٨٤ منقول من أصل خط الرازى ، وبقلم معتاد ؛ مسطرته ٢١ تقريباً .

والحق أننى استفدت كثيراً من مادة هذا المخطوط فى توضيح معالم الفلسفة الأخلاقية الطبية لدى الرازى .

وقد اجتهدت فى الحصول على مخطوط آخر فلم أوفق حتى الآن ؛ ولم تدلنى الفهارس على شىء آخر . ولذا آثرت نشر المخطوط من هذه النسخة الوحيدة ؛ حتى لا يتعرض للضياع كما ضاعت معظم كتب الرازى . وفى ذلك خسارة كبيرة للفكر البشرى .

وقد قمت بتعليقات عديدة في الهامش ، وهى تؤكد في مواضع كثيرة من الرسالة أن نسبتها صحيحة للرازى . حيث قارنت كثيراً بين فكر الرسالة وفكر الرازى في كتبه الأخرى التى تيسرت لى مطبوعة ومخطوطة ، وقد وجدت الروح واحدة ، فلا تناقض ولا اضطراب .

وهذه الرسالة مثل كل مؤلفات الرازى ذات أسلوب عذب رصين ، يجمع بين الإيجاز والعمق ، فى دقة وتحليل واستقصاء ، وتنويع بين الخبر والإنشاء .

ولهذا يجب أن نتركها لكل قارى* يتمتع بهذا الأسلوب العلى المتأدب ، ويستنتج منها ما يتفق مع ذوقه وميوله .

ولاشك أن هذه الرسالة المليئة بالنصائح الأخلاقية الطيبة صالحة لكل قارى* : متخصصاً أو غير متخصص ، طبيباً أو مريضاً أو سليماً ، أميراً أو فقيراً .

فهى تضع دستوراً أخلاقياً فى طريقة السلوك بين الطبيب والمريض ، وترسم أهم المبادئ* التى يجب أن يتعامل بها كل منهما مع الآخر ، وهى أيضاً بهذا نموذج أدبى رائع لأحد موضوعات الخير الاسمى .

وبلاحظ أننى أحيانا استبدلت كلمة مكان أخرى فى الأصل ؛
ليستقيم المعنى ، ثم نهبت فى الهامش على الأصل ، مع وضعه كما
هو بين علامة تنصيص ؛ لعل أحداً يقترح قراءة أخرى لهذه الكلمات
وهى مسئوليتنا جميعاً . وقد تسقط كلمة من النص فأضع بدلا منها
كلمة حسب السياق مع وضعها بين معقوفين [] وقد تسقط أكثر
من كلمة فأضع ثلاث نقط هكذا ... أما العناوين فهى من وضعى .

وأما التليذ الذى وجه إليه الرازى هذه الرسالة فهو د أبو بكر بن
قارب الرازى ، حين دعاه أحد الأمراء بخراسان ليكون طبيباً خاصاً
له . وفى مطلع الرسالة يتبين بوضوح مدى اعتزاز الأستاذ بتليذه .
وإشارته إياه ، وشفقته عليه من هذا الميدان الذى يحتاج إلى لباقة
خاصة وكياسة وفطنة وحذر .

ولم يصرح الرازى باسم الأمير ، وهذه عادته كثير فى مؤلفاته ؛
كيلا يقع فى الحرج ، أو يوقع الأمير والتليذ فيه .

وارجو من الله أن يحقق لنا آمالنا تجاه الخير ، فهو سبحانه
وتعالى ولى التوفيق ؟

الدكتور / عبد اللطيف محمد العبد

القاهرة - الزيتون

تحرير فى ١٠/٢٥/١٩٧٥

رسالة لابي بكر محمد بن زكريا الرازي الى بعض السادة
منقول من خط امير المؤمنين الرازي

بسم الله الرحمن الرحيم
ملحن امير المؤمنين وبالله توكلت وبالله استعجلك
الى حضرة واغتنمك لخدمته معتد في ذلك عليك
وما يقا به اسباب اليك وقد احسن الظن بك
من اخضعك لنفسه واستخضعك من جففت
ايمن روحه فوثقك الله لا بد لك اليه من خواتمه واد
حقوقه وحفظ صحته انه يسمع قريب اعلم انه من شجب
الشيا للطبيب فخذ من الامور وما لجة الخضرين
والنساء فان الطبيب كذا السيرة اذا اشتغل بمرضاته
وحفظ الخاصة والعامة فانه يعيش بكر وكره عليهم

امير او اذا توسم بخدمة الملوك ربما صار يخدمهم
 اميرا لاسيما اذا كان الملك عاميا كما اني سمعت
 ان بعضهم اصابت علة فاحره الطبيب الحكيم وهو يابا
 وقال اصنع بالطبيب اذا اذ منعتي المشتهى وانا
 اصطفتك لنفسى لاكل اريد وتدفع بملكى على اكره
 من مضرة . لم يكن يعلم انه من الحال مثل هذا المقال
 وانه ليس قوة صناعة الطبيب وان الاطباء عادة
 عادات الاحراء وامورهم مافذة على الاغنياء والفقراء
 ان من عاداتهم ان يامروا وليس من عاداتهم ان
 يذمروا . اول ما يجب عليك حياة النفس عن الاشتغال
 بالهدوء والطرب والمواظبة على تصف الكلب نساء ان
 يكفرك عن شئ بغنة والتخلفه فيعسر عليك الاجابة
 بمفرتك وتنت عند فان مما الاحراء والملوك والروسا
 من كبر عاميا ومن الكابر من يعادف اميا بحسب عقله
 منهم وكثرة جهلهم ان كل من نسب الى علم فهو خبيث باجب
 عن كل ما يسأل من ذلك العلم فان عسى بماله فانهم ضيونه
 الى الجحيم ان يولدون الله ربنا اصحاب الاخرف و استوى
 امادق وزجرا شكل على العالم الغرير المسألة التي يجب عليها
 اقل ثلاثة على واحدهم فما لا انه ليس يخطا اولم يترأها
 ولم تسمعها لكن لعوز الكمال في الانسان وينظنون بقلة معرفتهم
 على يعتقدون ذلك ان من قراء نوعا من العلم وشرح في فن

والعقل من الرجال النساء، واحفظ عن ومينة اشد
ومحلفه وارا آههم في استخدام من كذبهم متبصرة فمنهم
من يريد قول المقام عنده ومنهم من يكره فاذا انقضت
على هؤلاء في الحجة كان ذلك عندهم حجة من الحجة فان
امرأت اذا هو به لسوء وانبل عليك بوجه طلق به من
ان ينقل اسمه عليك او يصعد بوجه عنك واعلم
انك اذا غلبت هذه الخصال ولازمتها في سائر الاطوار
ليست حرياً بان يخضك الملوك والسترة وفسل
عليك بخافته والعداوة ولا يخلو في غلال ذلك
من ذواب وذفر وجوزل مثوبة وحسن ذكر ونبها
علتك من هذا الباب بهذا القدر فيه كناية وعنى
لمن نظره وتدبره بعضي وانه كان من نكاح النساء
وسكن كل طريق الرشاد بمنه وجوده ولا اله الا الله
محمد با نهية كما هو الهى مستحق

رسالة لآبي بكر محمد بن زكرياء الرازي
إلى
بعض تلامذته

منقول من أصل خط يد الرازي (١)

(١) في الأصل هكذا: منقول من أصل خط يد الرازي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دعاء وثناء :

بلغنى - أمتع الله بك ، وبالنعمة فيك - أنه دعاك الأمير فلان إلى حضرته^(١)، واختصك لخدمته^(٢). معتمداً في ذلك عليك. وملقياً بأسبابه إليك. وقد أحسن الظن بك من اختصك لنفسه واعتمد عليك من جعلك أمين روحه^(٣). وفقك الله لما تدبك إليه^(٤): من خدمته،

(١) تطلق الحضرة على كل كبير يحضر عنده الناس (المنجد - حضر) .

(٢) كان الرازى ورفقته يدركون أن التمريض هو الأساس الكبير للشفاء . وما زال الطب الحديث يؤمن بذلك - د. محمد زكى سويدان: التمريض والإسعاف ٣

(٣) يبدو من هذا مدى اعتزاز الرازى بتلاميذه وثقته فيهم. وكان الأمراء يثقون في تلاميذ الرازى نقتهم في الرازى نفسه . ولم يكن هذا التلميذ هو الوحيد الذى ألف له الرازى رسالة ، بل قد ألف كتابه « الأسرار » لتلميذه محمد بن يونس العالم بالرياضيات والطبيعية، ومن كثرت خدمته لأستاذه ، ويقول الرازى في ذلك : « ألفت كتابي هذا ، وأنحفته بما لم أنحف به أحداً من الملوك والأمراء » . هكذا يعتز بتلميذه - الأسرار ص ١ .

(٤) في الأصل « فوقك الله لا يدبك » .

ورعاية^(١) حقوقه ، وحفظ صحته^(٢) ، إنه سميع قريب .

أصعب ألوانه الطب :

اعلم ، أنه من أصعب الأشياء للطبيب : خدمة الأمراء ، ومعالجة
المترفين^(٣) والنساء^(٤) . فإن الطبيب الحر السيرة إذا اشتغل بصناعته ،
وحفظ الخاصة والعامة ، فإنه يعيش بخير ، ويكون^(٥) عليهم // أميراً
ص ٦٧

(١) في الأصل : « ودعائه » .

(٢) هذا هو الهدف من علم الطب . وهو يتفق مع تعريف
التهانوي (كشف اصطلاحات الفنون ١ : ٦١) حيث يقول عن علم
الطبيب : « هو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يمرض ويمرض ؛
للتماس حفظ الصحة وإزالة المرض » .

(٣) معناها « المتعدين » (المنجد - ترف) .

(٤) أجمع الباحثون في كل زمان ومكان على شرف مهنة الطب ؛
لأن موضوعها أبدان البشر التي هي أكرم على الخالق من سائر مائات .
وقد أدرك الرازي هذا كله ، فكتب عن واجبات الأطباء ، بما يحسب
له في باب السبق والابتكار ، د . يوسف حرير : مجلة المقتطف ص ٥١٤
ج ٥ مجلد ٧٥ ديسمبر ١٩٢٩ .

(٥) في الأصل : « وبكونه » .

وإذا توسم^(١) بخدمة الملوك ربما صار بخدمةهم أميراً^(٢) ؛
 لا سيما إذا كان الملك عامياً^(٣) . كما أنى سمعت أن بعضهم أصابته
 علة ؛ فأمره الطبيب بالحمية^(٤) ؛ وهو يأبأها ؛ وقال : ما أصنع
 بالطبيب إذن^(٥) ؟ إذا غنغنى المشتى ١ ؟ وإنما اصطنعتك لنفسى ؛
 لا كل ما أريد ؛ وتدفع بعلمك عفى ما أكره من مضرتة . ولم يكن
 يعلم أنه من المحال مثل هذا المقال . وأنه ليس فى قوة صناعة^(٦)
 الطبيب : وأن الأطباء عاداتهم عادات الأمراء ، وأمورهم نافذة على

(١) الكلمة تفيد الحسن والوجاهة والشرف ، المنجد - مادة وسم

(٢) هكذا يرفع الرازى من شأن الطب . ويبدو من مؤلفات الرازى

أنه كان يبذل الأمراء الاحترام باعتبارهم أولى الأمر ، ومن كلامه :

« اكمل الله للأمير السعادة ، وأتم عليه النعمة » ، « حضرة الأمير أطال

الله بقاءه » . ومن هنا تدرك مدى تعقل الرازى (الطب الروحاني ١٥) .

(٣) العاجى الذى لا يبصر طريقه .

(٤) حمى المريض أى منعه عما يضره ، الحمية رأس كل دواء ،

(المنجد . حمى)

(٥) فى الأصل : د إذا ،

(٦) كلمة صناعة هنا كلمة موفقة ، حيث إنها ترد فى تعاريف الأطباء

اليوم فهم يعرفون الطب بأنه لغة علاج الجسم والنفس . واصطلاحاً

يطلق على معرفة أدواء المرضى ومعالجتهم . فهو علم لأنه دراسة أولاً ،

وفى بطريقة ممارسته تبعاً لنماوس الارتقاء ، وهو صناعة لأنه مورد

رزق لمحترفيه . (د . حسنى سبيع : فلسفة الطب ١) .

الآغنياء والفقراء^(١) ؛ لأن من عاداتهم أن يأمروا ، وليس من عاداتهم أن يؤمروا^(٢) .

صيانة الطبيب نفسه :

فأول ما يجب عليك : صيانة النفس^(٣) عن الاشتغال باللهو والطرب ، والمواظبة على تصفح الكتب^(٤) ، فعساه أن يسألك عن

(١) مات الرازي فقيراً - عيون الانباء . ٤٢

(٢) في الأصل : د يؤمر لي . . .

(٣) قديماً كان الطب والأخلاق من فروع المنهج الفلسفي .

(٤) قد يجد بعض الباحثين الرازي من أجل هذه الفكرة التي توجب الإطلاع على أبحاث الغير ، لاتفاقها مع وسائل التعليم الحديثة .
نقول : المسلمون والعلم الحديث ٦٥

نرى الرازي دائماً يطبق على نفسه كل ما يقوله لغيره ، وهو يقول عن نفسه بالنسبة للإطلاع : « أما محبتي للعلم ، وحرصى عليه ، واجتهادى فيه ، فمعلوم عند من صحبني . وشاهد ذلك مني أني لم أزل منذ حدايتي وإلى وقتي هذا مكباً عليه . حتى إنني متى اتفق لي كتاب لم أقرأه ، أو رجل لم ألقه ، لم ألتفت إلى شغل بته ، ولو كان في ذلك على عظيم ضرر دون أن آتي على الكتاب وأعرف ما عند الرجل ،
(السيرة الفلسفية ، ٨١) =

شيء بغتة ، ولا تحفظه ، فتعسر^(١) عليك الإجابة . فيضرك ذلك عنده^(٢).

يذكر بعض معارف الرازي أنه لم يكن يفارق المدارج والنسخ فيقول : « ما دخلت عليه قط إلا رأيته ينسخ : إما يسود أو يبيض » (ابن النديم : الفهرست ٤١٦)
وقد وصف الرازي بأنه كان : (فلما ذكياً ، مجتهداً في جلة ، أوقاته بالاجتهاد والتطلع والفكر فيما دونه الأفاضل)
(الشهروري : نزعة الأرواح لوحة ٢١١)
ويرى الرازي أن المعرفة ليست وقفاً على إفسان معين ، إذ كان البحث والنظر والاجتهاد يوجب الزيادة والفضل .
(المناظرات ٣٠١ في رسائل الرازي) (وقارن عيون الأنبياء ٤٢٠)
وقد امتدح بعض الغربيين صفة الاطلاع الدائم لدى الرازي على معارف السابقين

Sarvepalli : History of philosophy Eastern and western
V.11. - P. 135

- (١) في الأصل بعثر :
- (٢) الحق أنه لا امتياز للإنسان إلا بالثقافة . وكثيراً ما أوصى أبقرات بأن ينمي الطبيب معلوماته بقراءة الكتب وحفظ ما يستطيع منها في حدائمه ، وحتى لا يترك مريضه ويذهب إلى استفتاء كتاب . على المجوس : كامل الصناعة الطبية ١ : ٩

مفاته الطيب :

فإن من الأهرام والملوك والرؤساء من يكون عامياً ،
ومن الأكابر من يصادف أمياً^(١) فيحسبون بقلة عليهم ، وكثرة
جهلهم أن كل من نسب إلى علم ، فهو خليق^(٢) بأن يجيب عن كل
ما يسأل من ذلك العلم ، فإن غي بمسألة^(٣) فإنهم ينسبونه إلى
الجهل^(٤) . وليسوا يدرون أنه ربما أصاب الآخرق^(٥) ، وأشوى^(٦)

(١) (الأى من لا يعرف القراءة ولا الكتابة (المنجد - أم)

(٢) (أى جدير به ، وتفيد معنى التمام والاعتدال .

(المنجد - خلق)

(٣) (فى الأصل : د عى ، والمعنى تمثر فى مسألة :

(٤) (من رأى أرسطو أنه ليس شرطاً أن يجيب العالم عن كل

سؤال . منطلق أرسطو ونظرية البرهان ، تحقيق د: بدوى ٢ : ٣٤٥ ظ

١٩٤٩ ، وقد قال الفقهاء نفس الفكرة ، يحيى بن هبيرة : اختلاف

الأئمة مخطوط بدار الكتب المصرية ورقة ٣٢٢ ب .

(٥) (الآخرق الآخرق الذى لا يحسن عمله (المنجد - خرق ،

(٦) (أشوى السهم : أخطأ الغرض (المنجد - شوى ،

الحاذق^(١) وربما أشكل على العالم النحرير^(٢) المسألة التي يجيب عنها أقل تلامذته علماء ، وأحلمهم^(٣) فهماً ، لا أنه ليس يحفظها ، أو لم يقرأها ، ولم يسمعها^(٤) ، لكن لعوز الكمال^(٥)

(١) من كتب الرازي المفقودة « الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل ، وأن ذلك ليس في الوسع ، وكتاب «العلّة التي من أجلها صار ينبجج جهال الأطباء والعوام والنساء في المدن في علاج بعض الأمراض أكثر من العلماء ، وعذر الطبيب في ذلك ، « الفهرست ٤٤٢٠ .

(٢) النحرير : الحاذق الفطن للعاقل جمعها نحارين [المجد:نحر]
(٣) الأجل الذي في رجلة استرخاء ، فالكلمة تفيد معنى التخلف « المنجد . حل .

ونلاحظ ان الرازي ذو ثقافة لغوية ، بمكن ما يقبدر إلى الذهن من أن هذه الكلمات خطأ .

(٤) في الأصل : « تسمعها » .

(٥) يعرف الرازي الفيلسوف أو الحكيم بأنه : « من عرف شروط البرهان وقوانينه ، واستدرك وباع من العلم الرياضي والطبيعي والعلم الإلهي مقدار ما في وسع الإنسان بلوغه ، « السيرة الفلسفية ١٠٨ »

في الإنسان^(١) . ويظنون بقلة معرفتهم^(٢) بل يعتقدون ذلك .
أن من قرأ نوعاً من العلم ، وشرع في فن // من ذلك ، أنه لا يجوز
أن يذهب عليه مثل ما وصفنا من : نسيان شيء ، أو الإغفال عنه
أو الغلط^(٣) فيه . وهذا ما ليس ينكره أحد من تدرب في نوع من

(١) هكذا يراف الرازي بالإنسان ولو كان عالماً ، وهو يطلب من
الطبيب أن يكون عالماً بقدر الإمكان مع الاعتراف بنقصه ، ويقرب
من هذا ما يراه بعض المحدثين من أن الطبيب وحده هو الذي يفرد من
بين العاملين بصفة العالم ، دانا واتشلي : الطبيب معالجاً وعالماً
ص ١٥ - ١٦ . ترجمة زكريا فهمي — دار الفكر العربي .

(٢) يعنى الرازي كثيراً على الجهال ويفضل الإعراض عنهم وعدم
إعطائهم شيئاً من مؤلفاته ، فهو يقول مثلاً في نهاية كتابه « الأبرار »
ص ١١٦ :

« هذه أنهى أعمال الحكماء ، فاتق الله وجتبه الجهال ومن ليس مناه .
ويقول عن كتابه : « سر الأبرار » ص ١٣١ :

« حرام على من وقع إليه كتابنا هذا ، أن يظهره من ليس مناه ،
أو فاسق ، أو سفیه ، أو ملع العامة على ملغيه .

(٣) من كتبه المفقودة « خطأ غرض الطبيب » (الفهرست ٤١٩)
في الحديث الشريف « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان »

العلوم، أى نوع كان منه. فأما الآميون والعاميون فإنهم يتوهمون - بل يعتقدون - أن كل من نسب إلى علم النجوم^(١)، فإنه لا محالة يعلم الغيب، وأن من نسب إلى الطب فإنه يقدر أن يزيل كل مرض^(٢)، ويشفى كل سقم^(٣).

(١) علم النجوم: «علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية» [التهانوى: كشف اصطلاحات الفنون ١: ٦٢]. ويعتمد التشجيع على النظرية القائلة بتأثير النجوم في شئون الإنسان وهو أساس علم الفلك القديم ونقل عن الرازى أنه يؤمن بتأثير النجوم في عناصر الأرض رسائل الرازى ١٨٦ - ١٨٧، ولا يستبعد الإمام الغزالي تأثير النجوم أيضاً.

د إحياء علوم الدين ١: ٣٥ ط الحلبي ١٩٣٩،

(٢) للرازى رسالة مفقودة بعنوان: «الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل، وأن ذلك ليس في الوسع» (الفهرست ٤٢٠، فون جرينباوم: حضارة الإسلام ٤٢٤ ترجمة عبد العزيز توفيق - مكتبة مصر ١٩٥٦)

(٣) يفهم من هذا أن الرازى يرى لكل إنسان طبيعة مغايرة للآخر. ويتفق هذا مع ما ذهب إليه علم النفس الحديث، من أن الليل لا يكون كاسلاً أبداً، وأن المعرفة بالحقيقة تكون دائماً جزئية، وعلى من ينتظر التأكد التام أن ينتظر أبد الدهر. جون بولبي: رعاية الطفل

أنواع العلل :

وإنما العلل الواقعة لها ثلاثة شروط : علة واجبة^(١) البرء ، وعلة جائزة^(٢) البرء ، وعلة مستحيلة^(٣) البرء^(٤) .

فأما الواجبة البرء : فكجمى يوم فى أكثر الأمر ، وصداع حدث من حر شمس^(٥) .

== وتطور الحبص . ٢٠٠ ترجمة د . السيد خيرى ، وزميليه . دار المعارف بمصر ٩٩٠ . وليس من سمات الميأسوف الحق أن يدعى القدرة على حل جميع المشكلات .

(١) فى الأصل (واجب) .

(٢) فى الأصل د جائز ، .

(٣) فى الأصل د مستحيل ، .

(٤) ذكر الرازى فى كتابه المدخل الصغير ورقة ١٠٧ أ ، أن أصناف الأمراض التى تعترى الجسم أربعة : فى الحلقة ، ومقدار الأعضاء ، وعددها ، ووضعها :

(٥) الرازى أول من بحث موضوع الإسعاف الأولى ، ضمن كتابه (من لا يخضره الطبيب) ارجع إليه ط مصر ٥٢-٥٣ وقد استعمل تلشيظ الدبرة الدموية فى علاج ضربة الشمس .

(نوفل : المسلون والعالم الحديث ٦٧)

وأما الجائزة البرء فكحصى عقدية^(١) أصابت^(٢) إنسان قوى
البدن خصيه ، ولم تكن من جنس الحميات الخيثة . فإن مثل هذه
الحصى إذا عولجت كما يجب ، وكيف يجب ، بما يجب ، فانها تزول
سريعا . وإن لم تعالج فكثيراً ما زادت ، وربما وقفت فلم تزد .
وأما المستحيلة^(٣) البرء فمثل : السرطان^(٤) والجذام^(٥) والبرص .

(١) وقد خصص الرازي الجزأين الرابع عشر والخامس عشر من
الحاوى لعلاج الحميات بكافة أنواعها في دقة عجيبة واهتمام كبير
بالإنسان (الحاوى ١٤ : ٢٧ ، ٥٩ على سبيل المثال)
ويحكى الرازي أنه أصيب بالحصى وعالج نفسه (الحاوى ١ : ٥٤)
(٢) في الاصل (أصاب)

(٣) لم يعد السرطان والجذام الآن من العلل المستحيلة البرء
لكن الرازي يعتبر المؤسس لنظرية علاج الأمراض المزمنة (الحاوى
٢ : ٢٦) وقد هدم بذلك نظرية علماء الطب الإغريق الذين امتنعوا
عن علاج الزمنى ، وكانت أوربا تضع هؤلاء في السجون وتقيدهم
وتضربهم حتى الموت .

(٤) السرطان أورام خبيثة بالجسم - د . محمد زكى شافعى : دائرة
معارف الطب ص ١٦٧ .

(٥) الجذام : مرض معد يصيب الجلد فينخشن أو ينعم . وقد

فالطبيب في أكثر الأمر ملوم^(١)، وعلى أى حال . وأما فيما يمكنه
علاجه فلطول وقت المعالجة . وأما فيما لا يمكنه العلاج فلعجزه
عن ذلك .

الرفق ومفظ الدم في الطب :

واعلم يا بنى أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقاً بالناس^(٢)، حافظاً
لغيرهم ، كتماً لأسرارهم ، لا سيما أسرار مخدومه ، فإنه ربما يكون
بعض الناس من المرضى ما يكتمه من أخص الناس به ، مثل :
أبيه وأمه وولده ، وإنما يكتمونه خواصهم ، ويفشونه^(٣) إلى

يصيب الأعصاب ويسبب شللاً أو عمى ، وعلاجه عسير يحتاج لطول
الزمن . راجع الدائرة السابقة ص ٨٩ .

(١) ذكر هذه الفكرة للرازي صاحب عيون الالباء ٢٠٤

(٢) هذه بعض صفات الفيلسوف الفاضل التي ذكرها الرازي
في كتابه الطب الروحاني ص ٩١ : (إن السيرة التي بها سار وعليها مضى
أفاضل الفلاسفة ، هي بالقول الجميل : معاملة الناس بالعدل ، والأخذ
عليهم من بعد ذلك بالفضل ، واستشعار العفة والرحمة ، والنصح لكل
والاجتهاد في نفع الكل ، إلا أن بدأ منهم بالجور والظلم) .

(٣) في الأصل : (ينشونه) .

الطبيب ضرورة^(١). وإذا عاجل من نسائه أو جواريه أو غلمانها
أحداً فيجب أن يحفظ طرفه^(٢) ؛ ولا يجوز موضع // العلة ،
فقد قال الحكميم جالينوس^(٣) ، في وصيته للمتعلمين .

(١) ما زال هذا معمولا به في مصر ، حيث تنص المادة ٣١٠
عقوبات على أن الطبيب الذي يفشى سر المريض يعاقب بالحبس ستة
أشهر ، وبغرامة لا تزيد عن خمسين جنهما - د يحیی الشریف :
الطب الشرعی ١٣ ، ١٩

(٢) الطرف : العين . أو حرفها (المنجد - طيف)

(٣) جالينوس ١٢ - ٢٠٠ م طبيب وكاتب يوناني . ولد في
برماجون وعمل جراحا لمدرسة المصارعين بها بعد أن أتم دراسته في
بلاد اليونان والامكندرية ثم أقام بروما وذاع صيته ، وينسب إليه
خمسة مائة مؤلف أغلبها في الطب والفلسفة . وقد أضاف إلى المعارف
الطبية اكتشافات وصل إليها بالتجريب ، وأكد أن كل مخلوق له هدف
معين (راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٧٥ ومن الجدير بالذكر
أن الرازي يطلق عليه أنه (جالينوس العرب) حيث تنبذ على مؤلفاته
ولم يكن دى بور على حق في اتهام الرازي بعدم التعمق في فهم مؤلفات
جالينوس ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ٩١ ، كان الرازي ينتقد جالينوس
أحيانا لأنه قال بالدمر وادعى في التشريح دعاوى دون برهان (مقالة
فيما بعد الطبيعة ١٢٦) .

ولدمرى لقد صدق^(١) فيما قال :

على الطبيب أن يكون مخلصاً لله^(٢) ، وأن يفض طرفه عن
النسوة ذوات الحسن والجمال ، وأن يتجنب لمس شيء من
أبدانهم^(٣) . وإذا أراد علاجهن أن يقضد الموضع الذى فيه
معنى علاجه ، ويترك إجماله عينيه^(٤) إلى سائر بدنهما^(٥) . قال :

(١) لم يكن الرازى يخفى إعجابه بأسلافه من مفكرى الإغريق
كرواد سابقين ، مهدوا الإنسانية طريق العلم والحضارة - راجع

Sarvepalli History of Philosophy Eastern and western.
V.-11, P. 188.

(٢) فى الأصل والطبيب أن يكون لله .

يوافق الرازى على تعريف القدماء للفلسفة بأنها : التشبه بالله
عز وجل ، بقدر ما فى طاقة الإنسان ، (الطب الروحاني ٧١)
وقد ورد تعريف للتصوف أيضا يشبه هذا وهو أنه التخليق
بأخلاق الله . د . محمد كمال جعفر : التصوف ص ٥

(٣) قد اعتبرت نظرية الرازى فى اللذة والآلام أساساً لمذهبه
فى الأخلاق ، فهو تركّز على قبح الهوى بواسطة العقل .

(٤) فى الأصل : « عينه » .

(٥) هنا نلاحظ مطابقة كلام الرازى لتعاليم الإسلام التى توصى

ورأيت من يتجنب ما ذكرت فكبّر في أعين الناس ، واجتمعت
إليه أقاويل الخاصة والعامة . قال ورأيت من تعاطى النساء فكثرت

== برعاية الجسد مثلما ترعى برعاية النفس : كما نوصى بغض الأبصار من كل
عن الرجل والمرأة عما حرم الله . (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) .
(نقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن)

وكثيراً ما نهى الرازي وحذر من اتباع الهوى وقد قام كتابه
الطب الروحاني على هذه الفكرة . وهو يعتبر الانتهاء عن الهوى
مبدأً أساسياً لإصلاح الأخلاق ، فيقول : (إن أشرف الأصول
وأجلها وأجودها على بلوغ غرض كتابنا هذا ، قمع الهوى ، ومخالفة
ما تدعو إليه الطباع في أكثر الأحوال ؛ وتمارين النفس على ذلك)
(الطب الروحاني ٢٠) . وهذا شأن الصوفية أيضاً الذين يرون الهوى
كله ضلالة (الرسالة القشيرية ١٢٠) .

ومن دراستنا لمعسفة الرازي ص ٢٩٣ قولنا : (ترك فاسفة
الرازي في توصيته بقمع الهوى ، على تحكيم العقل ، حيث يجده ،
ويعتبره من أعظم نعم الله تعالى التي تستوجب الحمد) وهو يرى
أن اللذات لا توجب فضلاً للإنسان ، ولا ميزة لمن نالها على سواه
» فان كان كذلك فالخير ان والخير أفضل من الناس » .

(الطب الروحاني ٢٥)

قالة^(١) الناس فيه ، فتجنبوه ، ورفضوه ، وحرّم الدخول على الملوك وعلى الخاصة والعامة . فليحذر المتطبّب هذه الأمور كما^(٢) حنرته إياها^(٣) .

وراجب المريصمه نحو الطبيب :

ينبغي لمن يختص المتطبّب لنفسه ، من الملوك والأكابر والسوقة^(٤)،^(٥) ، أن يبالغ في تطيب قلبه بلطيف الكلام ، وأن

(١) القالة : القول الفاشي في الناس خير أكان أو شرّاً [المنجد-قول]

(٢) ليست بالأصل .

(٣) قـ أوصى فيثاغورس - مثل الرازي - بأن يكون الطبيب فاضلاً لا معالماً فقط - الشهرزوري : نزّهة الأرواح - مخطوط لوحة ٥٦ من مبادئ الرازي : دزم الهوى وردعه واجب في كل رأى ، وعند كل عاقل وفي كل دين ، - [الطب الروحاني ٣١]

(٤) من كتبه المفقودة العلة التي يلزم لها بعض الناس وعوامهم الطبيب

وإن كان حاذقاً ، (الفهرست ٤٢٠)

(٥) السوق : الرغبة من الناس للواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

(المنجد - سوق)

يرفعه فوق جميع من في مجلسه من خدمه وغيرهم ، فإن هم إلا
خدام جسم ، والمتطبيب خادماً روح^(١) .

وقد كنت^(٢) - ذات يوم - في مجلس بعض الملوك ،
وكان له متطبيب اختصه لنفسه فدخل علينا المتطبيب ،
فغاط له الملك في القول ، وقال : دعاك فلان الحاجب^(٣)
إلى داره فلم تجبه . فقال المتطبيب : أيد الله الملك - الأصحاء
يحضرون إلى الأطباء ، ولا يستحضرونهم ؛ إلا الملك .
فقال الملك : إنما كان لك ذلك قبل أن توسمت بخدمتنا .
فأجاب المتطبيب بجواب أعجب الملك وال حاضرين ، فقال :

(١) في رأى الرازى تختلف طبيعة الروح عن طبيعة الجسم ،
فالجسم متحلل سيال والروح ليست كذلك (الأطباء الروحانيون ٢٨)
(٢) يلاحظ أن الرازى يطبق النصائح الطبية على نفسه قبل أن يطالب
بها تلميذه . وهى إحدى السمات الأصلية التى يمتاز بها فكر الرازى
وسلوكة - راجع عيون الأبناء ٤١٦ .

(٣) الحاجب تجمع على حجاب وحمية : البواب ، وربما خص بيواب
الملك . ومهنته الحجابة ، أى الستر والمنع من الدخول (المنجد - حجب)

أيد الله الملك - ظننت أن خدمته تزيد في الرفعة وعظم القدر ،
لا [في] الضمة وخمول الذكر^(١) . ففهمه الملك ، واعتذر إليه
وأكرمه ، وخلع عليه .

وأشفق من حول الملك به طيبه ، فإن كثيراً من قرابته وخدامه
يسرون // بمرضه وموته ، طامعاً لوراثته ماله أو ملكه ، والطبيب ص ٣٧٠
جاد مجد ؛ في حفظ صحته ، مسرور بدوام عافيته^(٢) .

ولا شيء أنكر لقلبه من مرض مخدومه - فإنه يريد أن يدفع
عنه علته في أقصر مدة ، وأسرع وقت ، وأهون علاج . وإن لم
يمكنه ذلك ، فإن للعلل درجات أربعاً : ابتداء وتزيدها ومنتهى

(١) في الأصل « رفعة وعظم قدر » ، لا ضمة وخمول ذكر .

(٢) يقرب من هذا ما يراه إميل لودفيغ من أن الطبيب هو الذي
يمسك ميزان السعادة بيديه : له . الحياة والحب ص ١٤٦ ترجمة عادل
زحيت - دار المعارف بمصر ١٩٥٠ .

أما برناردشو فيرى عكس رأى الرازي ، حيث ذم الأطباء ومهنة
الطب ؛ ولعلها تجربة شخصية مرت به - له : حيرة الطبيب ١٦-٣١
ترجمة د . عمر مكاوي - دار الفكر العربي ١٩٦٢ .

والمخطوط (١).

وإن المخدم إذا أحسن إلى من يختصه لنفسه من المتطيين، جد ذلك المتطب، في حفظ صحته ومدارة علته . وقد صدق - لعمري - الحكيم أبقرط،^(٢) حيث قال : صانع الطبيب

(١) يلاحظ هنا أن الرازي يـل إلى ذكر بعض القوانين الكلية ومن كتب الرازي المفقود ، تقسيم الأمراض وأسبابها وعلاجاتها على أشرح . . (الفهرست ٤١٨) .

وكتاب ، تلخيص كتاب العلل والأمراض ، وكتاب ، تلخيص كتاب الأمراض الآلة ، (الفهرست ٤١٩) .

وكتاب ، العلة اليسيرة بعضها أعمر تعرفا وعلاجا من الغليظة ،
وكتاب ، العلل القاتلة لعظمها والقاتلة لظهورها بفتة .
وكتاب ، العلل المشككة ، (الفهرست ٤٢٠)

(٢) أبقرط ٤٦٠ - ٣٧٠ ق م - طبيب يوناني معروف ، ويطلق عليه أبو الطب . درس بأثينا ، واستكمل دراسته خلال أسفاره . فصل الطب عن الخرافات والغميبات ، وأقامه على أساس علمي ، فكان

قبل أن تحتاج إليه . وء : رب به ل : عمله عمل من طب لمن حب (١) .

ولا شيء أجدى على العليل ، من أن كون الطبيب مائلا إليه بقلبه ، محبا له .

نهي الطبيب عن التكبر :

واعلم يا بني أن من المتطبين من يتكبر على الناس ، لاسيما إذا اختصه ملك أو رئيس . وقد قال الحكميم جالينوس : رأيت من

== له أعمق الأثر في تقدمه ، وكان يهتم بمراقبة أحوال المريض ، ولا سيما أحوال وجهه ، وهو ما يعرف « بالوجه البقراطي » وعرفه العرب باسم بقراط ، ونقلوا بعض كتبه إلى العربية مع شرح وتفسير ، وأشهر هؤلاء : حنين بن إسحق ، وهيسى بن يحيى ، وثابت بن قرة ، وعبد الرحمن ابن على راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ٧ .

(١) هذا مثل يجب أن يحفظه كل إنسان ويطبقه في المعاملات الأخرى . وهنا مطابقة في المعنى مع قول الشاعر :

إن المعلم والطبيب كليهما

لا ينصحان إذا هما لم بكرما

المتظلمين من إذا داخل^(١) الملوك ، فبسطوه تكبر على العامة ،
وحرّمهم العلاج^(٢) ، وغلظ لهم القول ، وبسر^(٣) في وجوههم^(٤)
فذلك المحروم المنقوص^(٥) . فدعا الحكيم إلى أصدقاء هذه الخصال

(١) فى الأصل : (دخل) .

(٢) يرى أفلاطون أن الطبيب هو شافى المريض ، لا جامع

المال - جمهورية ٥٦ .

(المنجد - بسر)

(٣) بسر : قطب وجهه

(٤) وحدّثنا عالج بعض أطباء أوروبا قوما من البدائيين فلم يعترفوا
لهم بأى فضل ، بل كانوا يودون أخذ أجر من الطبيب ، وكأنهم هم
الذين قدموا خدمة له ، ومع هذا يغتر الأطباء بأنهم لم يتخلوا عن
واجبهم . برجسون . منبع الدين والأخلاق (١٤١) ،

(٥) للرازى هنا منهج يتم فى السلوك الخير . وقد وضعه (فى الطب
الروحانى ص ٩٢) بقوله : « إن الإنسان إذا لزم العدل والعفة ،
وأقل من مباحكة الناس ومجادبتهم سلم منهم على الأمر الأكثر ، وإذا
ضم إلى ذلك الإفضال عليهم ، والنصح والرحمة لهم ؛ أوفى منهم المحبة ،
ونلاحظ أن الرازى هنا يحاول إصلاح أخلاق نفوس الأطباء قبل
أن يبدأ هؤلاء فى إصلاح أجسام المرضى ، وقد اهتم الرازى بهذين
الميدانين فى الطب . (الطب الروحانى ص ١٥)

التي ذكرها ، وحث^(١) عليها .

وجوب علاج الفقراء :

قال : (٢) وينبغي للطبيب أن يعالج الفقراء ، كما يعالج الأغنياء (٣) وهكذا يجب علينا أن نقتفي السنة التي سنها الحكماء .

(١) في الأصل : وخص ، .

(٢) يقصد جالينوس . وكذلك في الفقرة التي بعدها .

(٣) الإنسان هو الإنسان عند الرازي لا فرق بين غني وفقير في وجوب الرعاية والاحترام . وقد ورد أن للرازي كتاباً مفقوداً في الفقراء والمساكين - الدرهميلي : العلم عند العرب ٥٤٤ .

وقد وصف الرازي نفسه بأنه كان برأ حنوناً ، يحد في خدمة الإنسان وفي تخفيف البؤس عنه - مجلة المباحث - العدد ٨ من السنة الأولى ١٩٠٩ ص ٣٥٧ - ٣٤٩ :

وكانت رغبة الرازي في علاج الفقراء أشد من الأغنياء : ولذا سمى إليه المرضى من كل مكان ، وكان يجرى على الفقراء الجرايات الرواسمة - عيون الأنباء ٤١٦ ، إخبار العلماء ١٧٨ .

وتشهد سيرة الرازي بأنه طبق هذا الكلام عملياً ، يقول عنه ابن النديم في الفهرست ص ٤١٦ إنه كان : دكرياً ، متفضلاً ، باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء ، .

نهي الطبيب عن المعجب :

قال : ورأيت من المتطيين إذا عالج مريضاً شديداً المرض فبرأ على يديه ، دخله عند ذلك عجب^(١) وكان كلامه كلام الجبارين^(٢) فإذا كان كذلك ، فلا كان ، ولا وفق ، ولا سدد . وإنما نهى الحكيم^(٣) عن هذه الخصال ؛ لكي تهتنب .

توكل الطبيب على الله تعالى :

ويتوكل الطبيب في علاجه على الله تعالى ، ويتوقع البرء منه^(٤) .

(١) نهى الرازي بشدة عن المعجب ؛ لآئنه ضد تقدم المعرفة ، وهو الخلق الكريم ؛ فإن معظم أدواء النفس تابعة من فرط حبة الإنسان لنفسه .
(الطب الروحاني ٥٠)

(٢) الجبار : القاهر ، المتمرد (المنجد - جبر) .

(٣) يريد به جالينوس .

(٤) هذا رد صريح على من يهتمون الرازي بالإلحاد ، فهذه الفسكرة تطابق قول الله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، وقوله سبحانه : « وإذا مرضت فهو يشفين » .

وترى بعض عبارات لا وكل في مؤلفات أخرى للرازي مثل : « أستمعن =

ولا يحسب قوته وعمله ، ويعتمد في كل أموره عليه . فإذا فعل بصدق ذلك ونظر إلى نفسه وقوته // في الصناعة وحذقه ، حرمة الله سبحانه وتعالى البره (١) .

معرفة الحالة الصحية قبل المرضية :

وينبغي أن تدخل على مخدومك كل يوم ، وتقدم بالقرب (٢) منه ، وتجس (٣) نبضه (٤) إن أشار بيده إليك ، فإن من لم يجس

= به (سبحانه) وأتركه عليه ، (سر الأسرار ١١٨) ود حسنة الله ونعم الوكيل ، (بره الساعة ١٣) .

كما أنه يطلب تلميذا آخر له مواصلة طاعة الله تعالى في سر النجاسة . واظب على الطاعات . أكمل لك أعمالك ، ويوفقك الله تعالى لما تؤمله . (الأسرار ١١٦) .

(١) البره : الشفاء . (المنجد - برأ) .

(٢) هذا مطابق لما يراه علم النفس اليوم من أن دراية الطبيب بالظروف اليومية للمريض تمكنه من إسداء النصيحة الناجع له - جوته بولي : رعاية الطفل ١٩٣ .

(٣) في الأصل : تحنين ، .

(٤) من كتب الرازي المفقودة كتاب واختصار كتاب النبي الكبير لجالينوس ، (الفهرست لابن النديم ٤١٨) .

بعض نشأ ان في حال صحته ، لم يمكنه أن يحكم عليه وقت علته .

التهري على كثرة الـمكلام :

وليك وكثرة الكلام في مجلسه في هذا العلم^(١) إلا إذا ابتدأك هو به ، أو بعض تدمائه^(٢) .

غذاء المريض :

ولا تذكر على مائدته^(٣) أن هذا الطعام يضر عضو كذا أو يهيج علة كذا ، وإن كان ردى الخلط جداً ، إلا بمقدار ما لا بد منه ، مثل أن يجتمع على مائدته^(٤) ، السمك والرايب ، أو الجبن والبيض ، أو أشباه هذه ، مما لا يجوز أن يجمع بينهما في وقت

(١) عاب الرازي سقراط ؛ لأنه في أول حياته لم يكن يستعمل التقنية للعوام ولا للسلطان . ثم رجع عن ذلك (السيرة الفلسفية ٩٩)
(٢) التديم : المنادم على الشرب . وتطلق على الرفيق والمصاحب (المنجد - تدم) .

(٣) في الاصل (مايدته) .

(٤) في الاصل (مايدته) .

واحد ألبنة . ويجب أن تعلم^(١) كل يوم كمية طعمه ، وكيفية طبعه ، في قاته وكثرته ، وهشاشته لذلك أو كراحت ، فإن من علم مطعم إنسان ومشربه ، ونومة وسهره ، وفراغه وشغله ، وسائر أحواله من ألباه^(٢) وغير ذلك ، فما أقل ما يقع في علاجه من الخطأ^(٣) .

وينبغي أن تأمر له كل يوم أن يتخذ له من الغذاء ما تعلم أنه يكون مصلحاً لما تناول في أمسه من أغذية ، دافعاً لما ينتظر من مضرته . ومل في ذلك إلى ما يشتهي ميلاناً ما ، فإن الطعام المشتى أوفق للأصحاء والمرضى مما لا يشتهي ، وإن كلن أردأ ، وقدر شرابه وكيفية وكميته وترتيبه^(٤) .

ولذلك أن تحرم على الملوك ، وعلم من ليس من عقلاء الرجال

(١) في الاصل : أن يكون تعلم .

(٢) الباه في رأى الرازى أحد العوارض الرديئة التي يدهو إليها الهوى . وهو لذة جالبة الأستقام المتعددة ؛ ولذا يجب الاعتدال فيه تماماً .

[الحادى ١٠ : ٤٥ ، الحصى فى الكلى والمثانة ٨] .

(٣) الرازى كتاب قيم فى « منافع الاغذية ، ط مصر ١٣٠٥ هـ .

(٤) الكلمة غير واضحة تماماً فى الاصل .

ولا على الصبيان^(١) والنساء ، شيئاً يشتهونه بمدة^(٢) ، لكن امنعهم منه يسيراً يسيراً^(٣) ، وحذرهم من الإكثار ، فإن ذلك أحرى ألا يتناولوا منه في العمر شيئاً كثيراً ، وتلاحق ضرر ما يحدث

(١) يعتبر الرازي من أوائل المنكرين الذين كتبوا في طب الأطفال كمنع مستقل بذاته . وهو يميز بين علل وعلاج الأطفال والكبار .
د القاضي في الطب ٩٢ : ٩٣ .

Klein ; The Psycho - Analysis of Children. P. 374
London 1954.

(٢) نرى الرازي دائم الإشفاف على المريض ، ومن ثم يجعله استغله من القاعدة ، ومن علامته : إن استلذ المريض اللبن فأعطه منه مرة ثانية ، (الحادي ٥ : ٨) .

وبالنسبة للناقهين من المرض يقول : د إذا اشتها من الطعام ما يضرهم ، فيجب للطبيب أن يحتال في تدبير ذلك ، وصرفه إلى كيفية موافقة ، ولا يمنعهم ما يشتهون به ، ولعله يبحث عما يلائم طبيعة المريض ليعود إلى حالته الأولى (عمون الأبناء : ٤٢)

(٣) هنا مبدأ التصريح في العلاج والتربية ، وهو مبدأ هام لدى الرازي تفهيم روحه في كتبه . (الطب الروحاني ٣٢)

منه ، فان دفع مضار الاغذية^(١) جزء عظيم من أجزاء الطب في حفظ الصحة .

(١) للرازي كتاب مطبوع بعنوان : منافع الاغذية ودفع مضارها - مصر ١٣٠٥ هـ . وفي الحديث الشريف حقاً : د المعدة بيت الداء ، .

ولم يفد الرازي أن يحذر كثيراً من الإفراط في الطعام والشراب ؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك السريع . وقد عقد فصلاً خاصاً لذلك في كتاب الطب الروحاني ؛ وتشيع هذه الفمكرة في جميع كتبه (أنظر مثلاً من الحاوي ٦ : ٢٢٦ ، ٢٢٨) :

ومن مبادئه التي يقدمها للطبيب ، مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية (منافع الاغذية ٤٤ - ٤٥) .

وقد حشد الرازي في مؤلفاته الحديث عن ألوان الاغذية ما يصلح منها وما لا يصلح ، وله رسالة مفقودة فيما يقدم من الطعام وما يؤخر حيث كان يسير بها مظاهر الآداب الاجتماعية في عصره ولا سيما ما كان متصلاً بالولاية ؛ (منافع الاغذية ٢ : ٥٥ أحمد أمين : ظهور الإسلام . ١ : ١٠٧ ط ٣ - ١٩٦٣) .

استخراج الدواء :

وينبغي لك إذا ناولته شربة // أو دواء^(١)، أن (تصيب^(٢)) منه ص
بمشهده مقداراً ، فإن ذلك أبعد من التهمة ، وأقرب إلى الثقة ،
وأخرى^(٣) بأن يعتمد عليك ، وتفوض أموره إليك . وليس ذلك
ما يجب في كل وقت ، بل إذا كنت توليت أمر ذلك الدواء . فأما
إذا تولاه بعض غلمانه ؛ أو صاحب شرابه ، فليس ذلك بواجب
عليك .

وقد كنت ذات يوم في مجلس بعض الأكابر^(٤) ، وأعطاه

(١) الدواء جزء من الطب ولا يجب أن يعطى إلا بإذن الطبيب .
راجع د . محمد زكي شافعي : دائرة معارف الطب والعلاج المنولي ص
١٣٩ ط ٢ - دار الفكر العربي .

(٢) سقطت من الأصل .

(٣) أولى وأجدر (المنجد - حري) .

(٤) في التاريخ أن الرازي قد عاش في عصر آل سامان (٢٠٤ هـ -
٣٩٥ هـ) الذين كانوا رعاة الحكمة والعلم والفن والأدب ، وكانوا
من أحسن الحكام سيرة ، وازدان بلاطهم بكبار العلماء والأدباء ، من
أمثال : ابن سينا ، والفردوسي ، والرازي الذي اختاره لرئاسة
البيمارستان البغدادي ، دليله الثقة به . (الفهرست ٤١٥ - وفيات
الآلهيان ٤ : ٢٤٥) .

الطبيب شربة ، فبسر وجهه ، فقال بعض ندمائه :

لم لا أصبحت منها ؟ فقال الطبيب : أو كل شربة أو دواء^(١)
يحضر المجلس يجب على أن أصيب منه . إني إذن من عباد الله
المتأفين ! فقال له صاحب المجلس : صدقت ، وأمر بتسليم مفاتيح
بيوت الدواء^(٢) ، وبيوت الشراب إليه .

(١) للرازي اهتمام كبير بمسألة الدواء ، فلا يخلو مؤلف من مؤلفاته
من ذكر دواء الروح أو للجسد ، وهو يفضل الدواء المفرد على المركب .
ولم يصف الرازي دواء إلا بعد إجراء تجارب عليه ليتأكد من مفعوله
بنفسه ، وقد يراجع القدماء في ذكرهم لبعض الأدوية ، وقد خصص
القسم التاسع من الحاوي للأقرباء ، وهي المواد التي تدخل في تركيب
الدواء وقد انتفع به الأوروبيون مدة طويلة : (د . هاشم الورتى ،
ودكتور . معمر خالد : تاريخ الطبي في العراق ٢٦)

(٢) من كتب الرازي المفقودة كتاب « إبدال الأدوية » ،
(الفهرست لابن النديم ٤١٨) وكتاب « أثقال الأدوية »
(هدية العارفين ٢ : ٢٧) وكتاب « الأدوية الموجودة بكل مكان »
(السيرة الفلسفية للرازي ١٠٩ ، الفهرست ٤١٨) :

النهى عن ذكر السموم لدى الضمير :

وإياك وذكر شيء من السموم القاتلة^(١) بين يدي الملك ؛ أو
سوقه ، ونقول : إني أعرفها ، أو واقف على شيء منها ، أو على
ضررها ، فهي بمعزل عن صناعة الطب . وليس يحتاج إلى ذكرها
ولا استعمالها . وترك ذكرها أصلح من ذكرها . وإن هو سألَكَ

(١) كان الرازي خبيراً في هذه المركبات ، لأنها تتصل بالكيمياء ،
وقد اعتبر الرازي أبا الطب الكيميائي ، وكان يحذّر أن يكون الفيلسوف
على علم بالكيمياء ، ليستغنى عما في أيدي الناس . وفي عهد الرازي اختلطت
الفلسفة بالصيدلة والكيمياء ، ووجد ما يسمى دوائية كيميائية ،
واستطاع الرازي استحضار المملينات من النبات ، (مسالك الأبصار)
لوح ٣٠٣ ج ٥ مجلد ٢ مصطفى ليبب : الكيمياء عند العرب ٤٩ .

وقد لاحظنا بعد قراءتنا لكتابي الرازي : الأسرار وسر الأسرار
أنهما مؤسسان على فكرة البحث عن العلاج بجميع الأدوية المختلفة في
ذلك العصر ، وذلك بإجراء تجارب كثيرة معقدة ودقيقة . ترى ماذا
كنّا نتوقع لو عاش الرازي عصر الذرة ، وتمكن من استخدام
الأجهزة الحديثة ؟

عنها فلا تجب عن ذلك ، ولا تشرع في ذكرها ، وألق نفسك
منها جانبا^(١) .

ومحبوب تقريب الطبيب :

ويجب على من استخدم الطبيب أن يقربه من نفسه ، ويكلمه
كما يكلم أخص الناس به ، كيلا يحتاج الطبيب بينه وبين مخدمه
إلى سفير^(٢) ، فإنه ربما يقع بالإنسان من العلل المستحى^(٣) ، منها

(١) حق لبعض خصوم الرازي من أمثال ابن سينا والشهرزوري
أن يشهدوا له بالفوق في الطب - الشهرزوري : نزهة الأرواح لوحة
٢١٠ وحق لمنصفه من أمثال ابن خلكان أن يقول عن الرازي طبيباً :
« كان متقناً لهذه الصناعة ، حاذقاً بآبائها ، عارفاً بأوضاعها وقوانينها ،
تشب إليه الرجال لأخذها عنه » (وفيات ٤ : ٢٤٤) .

ويقول عنه النعمري في مسالك الإبحار لوحة ٣٠١ ج ٥ مجلد ٢ :
« فضله المنوع جم المذاهب . جامع المحاسن الذواهب . وأكثر
النقل يقف عند سلسلته ، وأعمق المشكل به تعرف مسأله » .

(٢) السفير : الرسول المصالح بين القوم (المنجد - سفر) .

(٣) في الأصل : « المستحياة » .

ما يحتاج الطبيب أن يأمر بعلاج في ذكره كراهة، مثل الشهاقات^(١) والحقن :

فإذا لم يكن المتطبيب مقرباً فيمنعه^(٢) الحشمة أو الجبن أن يغير عليه بذلك العلاج فربما أدت // حشمته منه إلى إتلاف نفسه . كما ص ٣
أنى سمعت أن ملكاً أصابته علة للقرنج ، فاحتاج الطبيب فيها إلى استعمال الحقنة ، ولم يكن الملك سمع بوصفها ، إذ كان عامياً لم يعاهد العلماء . فأشار الطبيب عليه باستعمالها . فلما وصفها له ظن الملك بقلة عقله وكثرة جهله . أن ذلك باستخفاف من الطبيب ، وتهاون بعلاجه . فغلظ له القول ، وقال : بمن ينبغي أن يفعل ما وصفت ؟ انخافه الطبيب على نفسه فقال : بي . أيد الله الملك ! قل : أو ينفعني ذلك ؟ فقال : المتطبيب قد قيل : إنه ينفع : وترك علاجه ، فتلذ فيه .

وحكى هذا الطبيب أنه لو حقق لفاز ونجا . فلما لم يكن مقرباً من مخدومه . حتى يمكنه أن يأسطه في الكلام ، خافه وترك

(١) الشهاقات : نوع من الالتهابية .

(٢) في الأصل : فيمنعه ،

علاجه ، وكان في ذلك هلاكه^(١) .

نهي الطيب عن السكر :

وإياك ومعاقرة^(٢) الشراب ، إذا كنت معيناً لخدمة الملوك
والأكابر ، فإنه ربما احتاج إليك في وقت فتصادف سكران ،
فتصغر في عينه ، ويقع في علاجك من الخطأ^(٣) ما لم يمكنك تداركه

(١) نلاحظ هنا إيمان الرازي القوى بقيمة الطيب وضرورة
أن يكون في المجتمع أطباء .

وعند التهانوي : كشف ١ : ٧٢ - أن علم الطب في تصحيح
الأبدان من فروض الكفاية . ونقل استحباب بعضهم تعلم كل إنسان
من الطب قدر ما يمتنع به عما يضر بدنه .

(٢) المعاقرة هنا : إدمان الشراب (التجدد - عفر)

(٣) يحرص الرازي هنا على أن يكون عقل الطيب حاضراً معه ،
لأسيما وقت العلاج . وقد بين قيمة العقل بأنه : « الشيء الذي لولاه
كانت حالتنا حالة البهائم والأطفال والمجانين » - الطب الروحاني ١٨ -
ويقول كذلك : « من لم يكن له عقل ولا فطنة ولا حيلة ، فليس
بحكيم ، وهو طامى » - سر الأسرار ١٢٠ . وقد صرح الرازي أيضا =

إلا إذا أمرت هو به . فأما إذا استعملته بنفسك ، فبمقتضى (١)
ما تحتاج إليه في حفظ صحتك ، أو دفع علة (٢) (ما) .

بضرر السكر ، لما فيه من ضياع شخصية الإنسان والقيود به عن إدراك
- حل المطالب الدنيوي والديني .

وهو لا يجوز الخمر إلا علاجاً ضرورياً فقط . وفيما عدا هذا فإنه
: يتم السكر والكسر ، لما يجره السكر من ضروب الأسقام والبلايا والمهانة
بأن لا يرضاها عاقل يحترم نفسه . يضاف إلى هذا أن الإدمان ضد
التفلسف والسعادة - الطب الروحاني ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٣ .

ومن كتب الرازي المفقودة : « مقالتان في السكر » و « حكمة الطبيب
« وكيف ينبغي أن يكون حاله في نفسه وبذاته وشربه » الفهرست
٤١٩ ، ٢٤٠ .

(١) في الأصل « فقدان » .

(٢) قد أوصى أبقراط من قبل ألا يكثر الطبيب من شرب النبيذ
حتى لا يفسد ذهنه ، خوفاً على مريضه - على المجوسى : كامل الصناعة
الطبية ١ - ٨ .

عمل من الطبيب للمريض بعد الدواء :

وإذا أسقيته المسهل^(١) والمقيء ، فينبغي لك أن تلازمه ، لئلا يخطئ في الطعام والشراب .

قيل : وفيه الذي يجب فيه : فإن من المترفين من تقدم بقلة ضميره وكثرة شرهه ، على أن مرض سنة ، لآفات // ص ١٧٤ كثيرة ، فيصيب من الطعام^(٢) ، وقد بقي في معدته شيء من حنطة^(٣) الدماغ ، أو من رائحته ، فيخالط ذلك الطعام ، ويعطيه طبعه ، فصار الطعام سهلاً .

وربما دام ذلك أياماً ، وجلب على صاحبه أمراضاً ، وأصابه مغص يقطع في بطنه . ولا يكاد يقبل العلاج إلا بكد شديد ، وبعد

(١) أضاف الرازي إلى الصيدلة استعمال المسهل المحلي والمهاجم :
لمعالجة داء السكتة والرمم — الحاوي ٢ : ٤٨ ، حيدر بامات : بحالي
الإسلام ١٤٦ .

(٢) من كذب الرازي المفقودة «أطعمة المرضى» الفهرست ٤٢٠ .
(٣) في الأصل «حنطة» أما (حنطة) فهي الحرارة الشديدة .

جهد ، وإتاعاب نفس . وربما دام ذلك الإسهال أياماً وشهور

ضرر كتمان السر عن الطبيب :

ومن أعظم الخطأ ، أنه إذا فعل ذلك ، كتمه الطبيب ، يريد بذلك دفع اللائمة عن نفسه . ومن أخطأ خطأ وكتمه ، فقد جنائتين ، وارتكب خطيئتين^(٣) . والطبيب لا يهتدى لعلاج لم يفش إليه سره .

(١) يرى الرازى أنفى الجسم الإنسانى أربع قوى طبيعية: وماسكة وهاضمة ودافعة . وكثيراً ما حذر من إعطاء المريض أو غذاء يسقط قوته ، كيلا تقل مناعته ضد الأمراض - الحاوى ٢١ . وإن أسمى ألوان الطب اليوم هو ما كان للوقاية . وكان لا يهتم بالوقاية اهتماماً فائقاً ، وقد شاع هذا المنهج فى معظم كتبه - مثلاً من الحاوى ١ : ٦٩ ، ٨٨ :

(٢) فى الأصل « يريد » .

(٣) هذه قاعدة عظيمة ، ينبغى أن يراعها كل عليل ، كيلا الطبيب ، فيتأخر شفاؤه ، أو لا يهتدى الطبيب إلى هذا الشفاء .

فمن أجل هذا ، يجب أن يلازمه الطبيب ، من الوقت الذي
تقبله المسهل ، إلى أن يستفرغ ويفرغ^(١) ، فإن ذلك من أحزم
أمور ، وأؤكد لها في حفظ الصحة ، وبتر^(٢) الأمراض والعلل ، ودفع
لأمة عنه وعن نفسه ، بسببه^(٣)

وقد سقيت - في بعض الأوقات - في قريب السن من المترين
سبل ، فأخطأ في ذلك خطأ كتمنيه ؛ استحياء ، إذ^(٤) كان
أهقا^(٥) .

(١) من كتبه المفقودة كتاب « استفراغ المحمومين قبل التضيغ » -

مهرست ٤١٩ .

(٢) في الأصل : « دين » .

(٣) كثر ما يحس القارىء ، أن الرازى خبير بطبائع النفوس
لإضافة إلى خبرته في طب الجسد . وقد اعتبرت حياة الرازى نموذجاً
لأداء الموهوبين المتعددي المواهب ، فهو : فيلسوف وطبيب
عالم طبيعي . وبالجملة هو ذو عقلية تركيحية موسوعية . وسوف تنشر
استقنا عن فلمته إن شاء الله تعالى من مكتبة الأنجلو المصرية بعنوان
« أصول الفكر الفلسفي عند أبي بكر الرازى » .

(٤) في الأصل : « إذا » .

(٥) في الأصل : « وأهقا » .

وكان قد قارب في الليلة التي شرب فيها المسهل ، بعض خط
فأصابه بعقبه ضعف ، ووجع في كلاه . فلما فتشت عن حاله ، أخبر
بعض خدمه بما فعل ، فعالجته ، فبرىء . وقد كنت قدرت ، أنه
لم يكن أخبرني (هؤلاء) ، لطالت به المعالجة والعلة ^(١) .

فصدر المريض بمعرفة ماله :

وإذا أردت إخراج الدم له بالفصد ^(٢) ، فيجب أن تجبر
نبيهه // ، وتتفقد بوله ، لاسيما إذا كنت قد اتصلت بخدمته منذ
ريب .

فأما من امتدت به الأيام في الخدمة ، وعرف عادة المخدم
فإنه قد يمكنه أن يشير عليه بإخراج الدم ، بغير هذين ، من حمى
لون ، أو در ^(٣) عرق ، أو عاف ^(٤) ، أو غير ذلك ، مما يدل على

(١) في الأصل : (لطالت به المعالجة وبه العلة) .

(٢) الفصد : شق عرق المريض .

(٣) في الأصل : دور ،

(٤) الوعاف : نزيف من الأنف بسبب حمى أو لظمة أو غير

ذلك - راجع د . محمد زكي شافعي : دائرة معارف الطب والعلا-

المتولى ص ١٥٢ ط ٢ - دار الفكر العربي .

غلبة الدم^(١) في كميته ، أو رزاقته في كميته .

واعلم أنه ليس لمن يلزمه الطبيب ، لصحته ، أو يعتاد علاجه
للخدمة أو عادة^(٢) . . . من غير أن يكون غير مشار للطبيب في
وقت صحته ، وأيام سلامته ، في اعتماد غذاء ، أو إخراج دم أو
شرب دواء .

حتى إذا نزلت به علة ، أو أصابته آفة ، فحينئذ يفزع إلى الطبيب
فلم تره^(٣) يمكنه أن يعرف من أحواله في ذلك الوقت ؛ ولو كان

(١) نلاحظ هنا ، أن الراوى يهتم بمشعر الدم في العلاج ، لأنه
يرى الدم أول الطبائع التي ركب منها الجسم ، وتوضيح هذا أنه يرى
الإسان عالما صغيرا ، وقد خلقه الله تعالى وركبه من أربعة طبائع
متضادة في طبيعتها وهي : الدم والبلغم والمرارة الصفراء والمرارة السوداء -
الراوى : المدخل الصغير إلى علم الطب - ورقة ١٠٦ مخطوط .

(٢) في الأصل كلمة غير واضحة ، ورسمها هكذا : دكرادريه

(٣) في الأصل : دلم تراه ،

من أمهر الناس ، وأقدرهم على البحث^(١) ، والقياس^(٢) ، ولا سيما
إذا كان ما أصابه علة حارة ، لا تمهله^(٣) ، أن يستعد لصناعته ،
ويبحث عن أحواله ، وما جرى عليه من عاداته .

ولذا قال الحكيم أبقرط : « العمر قصير ، والمضاعة طويلة ،
والوقت ضيق » . وإنما صار الوقت ضيقاً ؛ لأن الأوقات التي
تستعمل فيها العلاجات الجزئية ، كل يوم^(٤) ؛ لسيلان العنصر
الموضوع للطب ، وهو أبدان الناس^(٥) .

(١) تميزت فلسفة الرازي - مثل الفلسفة الحديثة - بشيئين :
تحرير العقل من الجود والتقليد ، ثم استخدام القياس والتجربة لرقية
للعلم .

(٢) القياس معناه المشابهة . وهو في المنطق : قول مركب من
قضايا إذا سلم بها لزوم عنها لذاتها قول آخر .
(٣) في الأصل : « لا نهمله » .

(٤) في الأصل عبارة مكررة مع الجملة السابقة وهي : « وإنما صار
الوقت ضيقاً » :

(٥) هذه الفكرة موجودة في كتاب الرازي « الطلب الروحاني » ،
حيث يرى أن الجسم من جوهر متحلل سيال ، ولا بقاء لمتحلل إلا
بأن يخلف بدلا مما تحلل منه .

وقد صح لي في هذا الباب بالاجربة^(١)، شيء عجيب؛ وذلك
أنه كان لي صديق، كثيراً ما كان يختلف^(٢) إلى ما عندي. وكان
يعتريه في بعض الأوقات خناق بلغمي^(٣).

فدخل على يوماً، وقد احمر وجهه، وبرزت^(٤) عروقه //، ص ١٧٦
مئلاً يكون عليه أوجه السكارى. فسألته^(٥) عن حاله؛
فقال:

(١) الرازي فيلسوف ذو اتجاه تجريبي دقيق. وإيمانه بالعقل
أكد أهمية التجربة؛ ولا سيما في الطب، الذي هو في تطور مستمر.
ومن رأيه ألا يثن الإنسان في طبيب مهما كان شأنه، إلا أن يبلغ
مرحلة التجريب بنفسه - الحاوي ١٢ : ٨٥، عيون الانباء ٢١ : ٤٢.

(٢) في الأصل : « يختلف ».

(٣) هو الربو الشعبي. وجاء في كشف النهاوي ٢ : ٢٣٠
« الخناق - بالضم وتخفيف النون - عند الأطباء، وهو ورم في عضلات
الحنجرة والنفث، وهو موضع بين اللهاة وشوارب الحلقوم. وأردؤه
السكبي، وهو الذي يحرج صاحبه دائماً إلى فتح فيه وولع لسانه ».

(٤) في الأصل : « ودزت ».

(٥) هذا مبدأ هام لدى الرازي، وهو مبدأ المساءلة؛ فإن المريض
كثيراً ما يكون أعلم بالسبب من غيره.

كنت جالساً في دكان عطار ، أحذته ، فشق ناجقة مسك^(١) ،
وسحق منه شيئاً صالحاً^(٢) على صلايته . فجاء إلى ما عندنا رجل
في عقله بعض الخلل ؛ يشتري منه الطيب .

فلما اشتغل العطار بذلك ، أخذ الرجل المتوف ،^(٣) ما على
الصلاية^(٤) من المسك ، ولم أكن أحفظ نفسي منه ، فإذا أنا به ،
وقد نفخه في أنفي بفمه على ما ترى .

ومكث عندي هنيهة ، وقام وخرج ، غفر في الطريق ، وأخذته
العلة التي كانت تعتاده على الأيام . فذهب به إلى داره صديق له ،
ودعا بمطبيب غريب ؛ لم يعرف حاله ؛ فظن ذلك الطبيب أنه خناق
دموى ، ودعيت أنا .

(١) الناجقة : الجلدة التي يجتمع فيها المدك . وهذا المسك طيب
من دم دابة كالظبي يدعى (غزال المسك) والقطعة من المدك
تدعى مسكة .

(٢) في الأصل ، صالحاً ، أما « الصالح » بالجم ، فهو الشديد
الاطس .

(٣) في الأصل ، الماؤف ، . وكلة ، المتوف ، تعني العاهة والفساد .

(٤) في الأصل ، الضلاية ، والعلالية : مدق الطيب

فلما أن دخلت عليه ، فإذا أنا بالمطبيب ، وقد [شمر عن ^(١)] عضديه ، واستعد أن يفصده . القيفالين ^(٢) . فنهيته عن ذلك ، ومنعته من فصده . وعالجته من العلاج بما كنت عرفت ^(٣) ؛ فبرأ . ولو فصده لعمل في إتلاف نفسه ^(٤) .

ورأيت مرة رجلاً أصابته علة ؛ بقاء طيبياً ، فأمر له بدواء يستعمله على مر الأيام ؛ فكان لعلة شافياً . فأصابته هذه العلة بعينها ، رجلاً آخر . فعلمه الرجل الأول ذلك الدواء . وكان الرجل الثاني يعتبره الصرع ^(٥) . فكان كلاهما

(١) ليست بالاصل .

(٢) القيفال : عرق في الوراغ يفصد .

(٣) وقد يوجب الرازي ، الفصد في بعض العلل ؛ ففي الحاوى

٦ : ٢٢ (أنا أمر بالفصد في جميع العلل الامتلائية والصبية ، وهي كالنقرس والرمد ووجع الكبد) .

(٤) إن النزعة التجريبية لدى الرازي ، تشير إلى تفاوله . وقد بدا تفاوله واضحاً في ميدان الطب . وإن كتابه الحاوى مع ضخامته ليخبر بهذه النزعة ؛ حيث يتجه كله إلى غاية واحدة ، هي الرفقة بالإنسان .

(٥) الصرع : اضطراب عصبي ، يظهر بشكل نوبات فقد وعي ، مع تشنجات .

تناول منه يصرع بعقبه، غير أنه كان ينفع العلة التي أصابته .
 فجأني وشكا إلى فاستوصفته الدواء ، فوصفه لي ، فكان فيه
 ينذر // الكرفس (١) ؛ فالقيته منه . فاستعمله بعد ذلك ؛ فكان ص ٧
 لا يصرع ؛ وينفعه نفعا بينا .

ويحتاج في استعمال صناعة الطب إلى طول الملاحظة (٢) ؛ فإن
 من عاين إنسانا سنة ، أعلم لطيفته من عاينه شهرا . ويجب (٣) في
 ذلك أن يكون الطبيب قد أحكم الأصول ، وقرأ الفروع (٤) ؛ فإنه
 من غير هذين لا يصح له شيء (٥) ، ولا يهتدى لأمر من الأمور في
 الصناعة ؛ فعليهما فاعتمد .

-
- (١) الكرفس (عشب) له سانية صلبة وتؤكل عروقه، وتستعمل ثلثا
 - (٢) هذا مبدأ عظيم في الطب . يمكن مازاء اليوم من سرعة
 بعض الأطباء في المكثف على عدد كبير من المرضى .
 - (٣) يفهم من لفظة (يجب) هنا ، إيمان الرازي بالمسؤولية الفردية
 للطبيب . وهو أصل عام من أصول فلسفة - لا سيرة الفلاسفة ١٠٢ .
 - (٤) فكرة الرازي هنا تبطل القول بأن العرب أو المسلمين ، لم
 يكونوا يعرفون المنهج العلمي السليم ، منهج القوانين ، كلية وجوئية .
 وقد صرخ الرازي بما في كتابه : منافع الأغذية ٥٥ .
 - (٥) حتى لبعضهم أن يقول : (إن الطب كان متفرقا لجمعه
 الرازي) .

التهنئة عن التجربة في المريف:

ودع منبهدي^(١) به جهال العامة ، أن فلاناً قد وقعت له التجربة في غير علم يرجع إليه ؛ فإن ذلك لا يكون ، ولو كان من أطول الناس عمراً ، وما نفع له من علاج موافق ، فهو من حسن الاتفاق^(٢) .

فأعلى درجات هؤلاء ، الذين ليسوا يرجعون إلى علم أصوله الصناعة ، أنهم ينظرون في الكتب ، فيستعملون منها العلاجات . وليسوا يعلمون أن الأشياء الموجودة فيها ، ليست هي أشياء تستعمل بأعيانها ، بل هي مقالات جعلت ؛ ليحتذى عليها ، وتعلم الصناعة منها .

ولو لم يكن من أمر التجربة إلا ما قاله الفاضل خالينوس (لكني) : أنا أنهى جميع من استشارني في صناعة الطب ، أن يعالج بالتجربة .

(١) الهذيان : التكلم بغير معقول : لمرض أو غيره .

(٢) كانت محاربة الرازي للدجل في الطب سبباً في تهجين المدارس

المنصفين له - ألدوميلي : العلم عند العرب ١٧٨ .

وقد^(١) نهى عن ذلك المعلم الحكيم أبقراط ، حين ابتداء
فقال : العمر قصير ، والصناعة طويلة ، والزمان جديد ، والتجربة
خطر^(٢) . فقد صدق لعمرى في قوله ١ . وإني أنهى عن التجربة
في صناعة الطب^(٣) .

ورأيت : رجلا من (المدعين^(٤)) ، يعالج عليلا أصابته
صفراوية ، فسقاه (شيئا^(٥)) يعقل لسانه ، فعوتب في ذلك ، (فذكر
أنه قرأ ذلك في كتاب يعالج هذا المرض)^(٦) .

- (١) في الأصل : « فقد ،
(٢) إن الرازي من أنصار التجربة ، لكنه كان يرفض تجربة
الدواء على الإنسان المريض ؛ فن هنا يرضى بذلك لنفسه !!
(٣) كان الرازي يحرب العقاقير على الحيوان ، قبل إعطائها
للإنسان ، مثلما جرب في قرد بعض مركبات الزئبق ، ومن جهة أخرى
كان يبحث عن علاج الحيوان ، فلم تكن عنده قسوة ما ، انظر له :
الحاوي ١ : ٩٢ ، الخواص - ورقة ١٣١ أ .
(٤) في الأصل كلمة غير واضحة .
(٥) في الأصل عبارة غير مقروءة .
(٦) في الأصل عبارة : « فقال في كتاب له ينفع من لبس الصفرة

وآخر يسقى عليه؛ لورم صلب دمرى كافوراً^(١)؛ فأضر به
إضرار شديداً .

ودخلت^(٢) مرة قرية^(٣) بختازآبها ، فبقيت هنالك أياماً . فرأيت
شيخاً ، كان بحضرة باب مسجدة بالغداة قوارير الماء . فكان يأمر
بأشياء كما يتفق له ، ويخطر بباله ، ويمجى على لسانه^(٤) .

فسألتهم عن حاله فقالوا : إن له كتباً كثيرة في الطب ، وقد
عرف طباعنا بالتجربة .

(١) الكافور : زيت طيار ، صلب في درجات الحرارة العادية ،
يحضر من شجر الكافور بالصين واليابان ، ويستخدم في الطب وغيره .

(٢) ما أشبه الرازى بالجاحظ ، في الأسلوب السلس الرقيق ، وفي
سوق بعض الحكايات التي وقعت له أو أمامه ، أو رواها واحد من
يوثق به ، وذلك برهان على صحة ما يقول ، وكثير منها لا يخلو من
دعابة وطرافة ، لكنها تنسم بالعمق والدقة العلمية — انظر بعض هذه
الحكايات له في : الطب الروحاني ٧٠ ، الخواص - ورقة ٧٠ :

(٣) في الأصل دقريته ،

(٤) من كتب الرازى المفقودة كتاب : الأسباب المميلة للقلوب
الناس عن أفاضل الأطباء إلى أخصائهم ، - الفهرست ٤١٧ .

فقتل الشقي بعلاجه المنكر ، من مدة ما كنت هناك عدداً من الناس . فمعجبت من غباوتهم وشقاوتهم ، ومن جهالتهم وجراتهم . ولو خليت المرضى والطبيعة^(١) ، ولم تعالج البنية ، خير لهم ، وأعود عليهم ، من [أن] يستشفى بمثل ذلك الطبيب^(٢) .

ولو أن رجلاً استوجب مدة حمرة ، فإنه لا يصح له من التجربة ، أن الإسهال معالج بذلك الرأس بالخرق الخشنة . (فيستريح المريض)^(٣) ، وأن السعال ربما يؤدي إلى السل ، إذ لم يلبطخ الرأس بدواء الخردل^(٤) ، حتى يذهط وينفتح .

(١) يلاحظ أن فكر الرازي يحمل طابعاً إنسانياً عاماً ، ولعله السر في الاعتماد على كتبه مترجمة أو ظهر مترجمة بأوروبا مدة طويلة .

(٢) هذا مبدأ ارتكاب أخف الضررين . وهو مقبول شرعاً ، ويميل الرازي دائماً إلى الصفقة بالإفساد ، حيث يتأذى من وقوع الألم به ، إلا بقدر الإصلاح والعلاج - الطب الروحاني ٣٢ .

(٣) قد يبدو هذا الكلام غريباً من الرازي ، لكن العلم اليوم يقول بأكثر من هذا فقد نشرت صحيفة الأخبار القاهرية يوم ٨/٨/١٩٧٥ أن أحد الأطباء الإنجليز اكتشف علاج الروماتيزم ، بضرب المريض بأكياس من الرمل بقوة في موطن المرض .

(٤) الخردل : نبات حولي ، نباتات الدنيا القديمة .

التحذير من أذعياء الطب :

واعلم أن اللصوص وقطاع الطريق ، خير من أولئك النفر ،
الذين يدعون الطب ، وليسوا بأطباء ، لأنهم يذهبون بالمال (١) ،
وربما أتوا (٢) على الأنفس ، وهؤلاء كثير ما يأتون على
الأنفس النقيصة (٣) . . .

وإن من اضطر إلى ذلك ، الحاجة أو سد مجاعة ، خير ممن هو
مستغن عنه ، يريد بذلك التشدد والسمعة ، كي يقال : إن فلاناً
يرجع إليه في علم الطب (٤) .

وأكثر هؤلاء يرجعون إلى الزهد ، وصيانة النفس // ص ١٧٩

(١) هكذا يكره الرازي أن يكون الطبيب جشعا مستغلا ، وقد
حارب هذه الظاهرة أيضاً في كتابه برء الساحة ص ٨ .
(٢) في الأصل : انعوا ،

(٣) يقول الراصفي عن الرازي في مجلة المقتبس من ٦٠٨ ج ١٠
المجلد الثالث نوفمبر ١٩٠٨ :

وكان حليف الجدة لم يأل جهده بدحض خصوم العلم من كل هزال
(٤) في الأصل : إن فلاناً يرجع إلى علم الطب ، .

ولو أمسكوا عنه لكان جزاء لهم ديناً ودنياً، وآخرة وأولى^(١)،
فإن من أصعب الأمور التحكيم على الأرواح بغير معرفة، والامر
يثنى، والنهى عن غيره من غير بصيرة.

وإن الواحد منهم ربما بلغ به الامر من الصيانة، أنه يذبح
نفسه من غير أن يتكلم^(٢) بين اثنين في شيء حقير من حطام الدنيا،
(كيلا يبوء من ذلك يائماً^(٣))، ثم يخطب منهمكاً على وجهه
في التحكم على أرواح الناس^(٤)، من غير بحث ولا قياس، ولا أصل

(١) هنا مبدأ عظيم لكل إنسان، وهو أن الإحجام عن الإضرار
بالغير يعتبر عملاً صالحاً، ينال صاحبه الثواب عليه.

(٢) في الأصل: تكلم.

(٣) في الأصل: كيلا تجمععت في ذلك يائماً أو يبوء منه
لوزن.

(٤) تلاحظ هنا أن الراوى يحترم الإيمان تماماً، ويخاف عليه
من الموت قتلاً، وهذا أيضاً لا يتناقض مع ما ذهب إليه من أنه لا يصح
للإنسان الفاضل أن يخاف من الموت ولا سيما: الإنسان الخير الفاضل
للكمال لأداء ما فرضت عليه الشريعة المحقة، لأنها قد وعدته الفوز
والراحة والوصول إلى النعيم الدائم، - لطلب الروحاني ٩٦.

يفنى عليه ، ولا فرع يرجع إليه (١).

فبعضهم يفعل منتشياً ، وبعضهم يفعل عتسياً . وقد يصح لمن أحكم الأصول من علم الطب في يوم واحد ، من حال من يريد علاجه ، إذا بحث عن ذلك ، مالا يصح لغيره في سن كثيرة ، من أصحاب التجارب .

وقد أخبرتك قبل ، أن الحسكاه قد ينزون عن استعمال التجربة في صناعة الطب . وقد أعلنك قصة صاحب الحقائق الباعثي ، والمتطبب الأجنبي : تعلم أن من يعتاد علاج إنسان ، ويعلم عاداته ، أو يلازم أهلاً ، ويعرف سيرته : قد يصح له من أحواله أشباه ما وصف لك .

ولولا ما كان من أجل ما وصفنا : ما استخلص الملوك والأمراء لأنفسهم الأطباء ، وآثروهم على جميع خدمهم ، وأشركوهم في

(١) يطالب الراوى دائماً بتطبيق المبادئ " الأخلاقية السامية على الطب . ومن هنا اعتبر مثلاً للاتجاه المنهجي المقنن للدراسات الأخلاقية . ويمكن إعتباره مصلحاً اجتماعياً ، إلى جانب كونه عالماً وفيلسوفاً :

أموالهم ونعمهم^(١) وقد موهم على سائر خواصهم^(٢)؛ لأنه لا شيء
أجل من العافية، ولا ألد من حياة في سلامة.

تواضع الطبيب :

واعلم أن التواضع في هذه الصناعة زينة وجمال ، [دون
ضعة النفس^(٣)] . لكن يتواضع بحسن اللفظ / / ، ص ١٨٠
[وجيد الكلام^(٤)] وليتبه، وترك الفظاظ والغلظة على الناس^(٥) .

(١) يرى الرازي أن البخل صفة ذميمة يدعو إليها الهوى . ولا سيما
بالنسبة للتقار على الكرم . الطب الروحاني ٦٠ .

(٢) بالرغم من هذا لم ينتهر الرازي الفرصة للثراء ؛ لأنه كان
واهدأ . د السيرة الفلسفية ١١٠ . ويرى أنه لا يصح أن يكتسب
الإيمان مالا كثيراً نظير العمل الذي يزيد من طاقته ، ولا يصح
عبداً للعمل ؛ لكن عليه أن يوازن بين دخله ومنصرفه . د الطب
الروحاني ٨٢ — ٨٤ .

(٣) في الأصل : د لكن لاضمه النفس ولا قلقتها .

(٤) في الأصل : د وحسن إليه والرغبة في الجنس وحفظ الكلام .

(٥) وفي القرآن الكريم خطاب للرسول عليه السلام : د ولو كنت
فظاً غليظ القلب لا نفذوا من حوالك .

فتى كان كذلك ، فهو المسدد الموفق . وكذلك أمرنا بهذه
الحصاى المحموده ، التى أثمرت بها عليك ، الفاضل جالينوس .
وقد كنت يوماً فى مجلس بعض الملوك ، وكان له متطبب
اختصه لنفسه ، وقدمه على سائر من بحضوره فأمرت له بدواء ،
وكان يحتاج إليه فى ذلك الوقت : وكان فى المجلس رجل من أقرباء
الملك ، له مكانة وميزة عنده .

فقال له المتطبب : اثنى بحقة كذا ؛ فقام من مجلسه كارهاً ،
وهو يقول فى نفسه : أرى كل نذل (١) يحكم على ، حكمه على هيبده ،
فسمعه الملك ؛ فقال :

إن من جورى له أن يحكم على نفسى وروحى ؛ لست أنهى (٢)
أن يحكم على غيرى ، ولو كان أقرب الناس إلى ، وأكرمهم
على ، فاستبشر بذلك الرجل ، وطابت نفسه بقول الملك .
وعالجت فى بعض الأوقات ملكاً ، وكان لى عنده مكانة وميزة ؛
إذ (٣) كان الرجل بنفسه فاضلاً . فأصابه ورم حار ؛ فقصده

(١) النذل : الخسيس المحتقر ؛ لمرقوطه فى دين أو حسب .

(٢) فى الأصل : 'دأبها أى ، .

(٣) فى الأصل : 'دأبها ، .

واستكثرت من إخراج الدم ؛ إذ^(١) كان يجب إخراجها إلى حالة
 العشا^(٢) ، فأصابته عشية صعبة ، فهولته جداً .
 بفعل من حوله من خواصه وخدمه ييكونه . وأهابهم ذلك ،
 وأنا أعالج العشا بما يجب ، لا أكثرت بقوة وهوله .
 فلما أفاق رأى بعض خدمه ييكي ، وبعضهم يشد النظر إلى ،
 فقال لي : إنه لم يكن لي برء العشا ، وما دام معنى شيء من عقلي يهتم ،
 ولا فسر إلا الإشفاق عليك من أن ينالك // بعض خدمي ص ١٨١
 بجهاته بكلمة باردة . وقد وثقت منك أنك لو لم تعلم أنني محتاج
 أن أصير من إخراج الدم إلى العشا ، لم يخرج ذاك . ولست
 أكلفك بفصدي^(٣) بعد اليوم بحضرتهم ، بل في الخلوة .
 ومخلص بذلك الفصد من علل كثيرة ، قد أشرف عليها ،
 وحفظت صحته بإذن الله تعالى ، مدة مقامي معه ، من أوجاع
 شتى كانت تصيبه على الأيام ، لأنه لم يكن يأكل ويشرب^(٤) ،
 ولا ينام ولا يهجر ، ولا يتقاضى^(٥) ، ولا يستحم ، إلا

(١) : : إذا . .

(٢) في الأصل : العشي ، والعشا : سور البصر بالليل والنهار ، أو بالليل فقط .

(٣) في الأصل : : قمهدي .

(٤) من كتب الرازي المفقودة : ترتيب أكل الفواكه ،

(٥) في الأصل : لا بد قاضي .

بمشورتى وإذنى ، وبمراى فتى .

وكان فى أثناء ذلك مطيعاً^(١) لى بحياً إلى العلاج ، فى جميع ما أشرت به من ذلك عليه . وكذا يجب أن يكون الرئيس إذا أراد الانتفاع بعلم الطب^(٢) .

وإن الطبيب بمثل هذا يسعد ، وهو [يسعد] باستخدامه إياه . ولو لم يكن لصناعة الطب وللأطباء ، من الفضل ، إلا ما أنا ذاكره ، لكانت فيه كفاية .

فضل الأطباء :

فإنه قد اجتمع لهم^(٣) خمس خصال لم تجتمع لغيرهم :

- الأولى : اتفاق أهل المثل والأديان على تفضيل صناعتهم ؛
- والثانية : اعتراف الملوك . والسوقة بشدة الحاجة إليهم ؛
- إذ هم المقرعون والغياث ، حين لا ينفع عدة ولا عشيرة .

-
- (١) طاعة المريض للطبيب عنصر هام لتحقيق الشفاء سريعاً ؛
 - لأسيا إذا أضيف إليها علم متين للطبيب - وفيات ٤ : ٢٤٥ .
 - (٢) يستحسنه الراوى أن يازم المريض طبيباً واحداً ؛ لأن لكل طبيب خطأ - عيون الأنباء ١٤٢١ ؛
 - (٣) فى الأصل : ، له ،

والثالثة : مجاهدة [ما غاب ^(١) عن] أبصارهم ^(٢) .

والرابعة : اهتمامهم الدائم بإدخال السرور . الراحة على غيرهم ^(٣) .

والخامسة : الاسم المشتق من أسماء الله تعالى .

ولو لم يكن من فضل الطبيب ، إلا أن الإنسان ربما يتشوق إليه ، حين يسأم أكرم الناس عليه ، فأخصهم لديه // : فإنه ^(٤) ص ٢ في العال الصعبة ربما كره الإنسان لقاء أدله وولده ، ويشتاق إلى الطبيب ، ويتروح برؤيته ، وتطيب نفسه بحضوره ومشاهدته - لكان فيه مندوحة عن غيره .

وحكى لى غير واحد من المرضى : أنه يجد فى نفسه راحة عند دخول الطبيب عليه ، وكونه عنده ، ما لا يجد فى غيره من الأوقات ،

(١) فى الأصل : (مجاهدة من أجاب عايتة من أبصارهم) .

(٢) يوجب الرازى على كل طبيب أن ينقبه على العلة معها خفيت -

تلخاوى ١ : ١٢٨ .

(٣) أوجب الرازى على الطبيب أن يورم مريضه بالهدوء وإن لم يكن واقفا منها - هيون الأنباء ٢٠ : ٤ .

(٤) فى الأصل : (ظن) .

مد كرهات في الطب :

وإياك أن يغاطك الممخرون^(١) الممهرون على الناس ، بحضرة
مخدومك ، فيكلفونك استخراج أشياء ليست من صناعة الطب ،
بما يعتادها الكهنة^(٢) : أنه قد يمكن المشاهد أن يعرف جميع ما بالعالم
من أمره ، إذا نظر إلى ما به ، أو جس نبضه ، لا بل يعرف ما أكل
من قبل ذلك ، وراود من سائر أموره ، والفرق بين الأبطال ، وهذا
من أحظم الكذب والباطل على صناعة الطب .

ولمؤلاء الممخرين - أخزاهم الله تعالى - في ترويج حيلهم
عند العامة ، أنواع من الحيل ، وزرق^(٣) لطيف جدا . وقد شرحنا
هذه الأمور في مقالتنا^(٤) التي ألفناها في هذا المعنى .

(١) الحق أن كتابات الرازي قد عبرت عن أصالة فكرية حرة ،
بمخرجهما على الشائع والمألوف :

(٢) في الأصل : (الكدنة) .

(٣) أي حيلة وخفة .

(٤) يتميز الرازي كفيلاسوف بكثرة تأليفه في موضوعات متنوعة .

فربما أمر الممخرق، رافقه^(١) أن يجعل بدل البول في القارورة^(٢)
ماء التين ، أو ماء نقع المشمش ، فيرده^(٣) إليه بحضرة من الناس
فيغضب لذلك الممخرق ، ويتناوله ويشربه .
وربما يدفع إليه ماء...^(٤) في قارورته بول الشاة بمرأى من
العوام ؛ فيقول يحتاج إلى زيادة...^(٥) ؛ فيصدق^(٦) ذلك كثير
من أهل العقل والتمييز ؛ فضلا عن سوامم .
وإنما صرت بحيث لا يخفى على شيء من هذه الأمور ؛ لأنني
كنت // في حداتي أتعاجل العزائم والمخاريق ، فصار ص ١٨٣
لا يخفى على أشر^(٧) وجوهها .
وقد رأيت من هؤلاء أشياء^(٨) ذكرت بعضها في تلك المقالة ،
التي يذنت فيها طرفا من حيلهم .

(١) في الأصل (مراطنه) .

(٢) وعاء يجعل فيه الشراب أو الرطب أو التمر .

(٣) في الأصل : (فيرضه) .

(٤) في الأصل : (تيموسة) .

(٥) : (حشيش) .

[٦] : (فعر) .

(٧) في الأصل : (الهر) ؟

(٨) : الأشياء .

أما أنا فقد دفعت إلى هذا النوع غير مرّة ، من أقوالم نظرت فيه
 بولهم^(١) ، أو جسست نبجهم^(٢) . فلما رأوني ألح عليهم في
 المسألة عما فعل (المريض) وأكل وأصابه في علته ، (وغير^(٣))
 ذلك من الأعراض والدلائل والعلامات ، من النوم والسهر ،
 وكيفية الوجد ، رأيتم قد تبين في وجوههم ضد ما كانت صورتي^(٤)
 عندهم ، بأن لان قولهم لي ، وأعرضوا عني .

ومنهم من أظهر ذلك لي ، غير مستبح^(٥) منى بل مصرحاً بالقول :
 من أنك كنت عندنا بخلاف مانجدهك ؛ إذ كان في نفوسنا أنك
 إذا نظرت إلى ما بنا ، وجسست نبجنا ، أمكنك أن تخبرنا بجميع
 ما فعلنا في أيام علقتنا ، وما يجد من الآلام على كنهها .

(١) في الاصل دليايهم ، ؛

(٢) كان من عادة الأطباء في عصر الرازي تشخيص المرض
 بالفحص عن بول المريض ، دون أن يروه أحياناً . وقد لفت الرازي
 الأنظار إلى وجوب فحص المريض نفسه بالإضافة إلى ذلك - ديورانت :
 قصة الحضارة ص ١٩٢ ج ٢ مجلد ٤ .

(٣) ليست بالاصل .

(٤) في الاصل د صررتي ،

(٥) " مستبحي " .

ولم ينجح^(١) كلامي فيهم . إن من وصفهم غير مدرك لهذه^(٢) الصناعة ، لما قد تمكن^(٣) في نفوسهم من مخاريق^(٤) الهرايين وحيل الممخرقين^(٥) .

وإن كان قد يمكن الماهر ، أن يعتبر عن بعض ما بالليل ، فإنه لا يمكنه الإخبار عما فعله البارحة ، وعما أكله على كنهه . فإن كانت صنادعة الطب ، ماهي محصورة في كتب الحكماء من اليونانيين والهند أيضاً ، فليس ولا في واحد من هذه الكتب ، ما ادعوه من مثل هذه الأشياء^(٦) ، أنهم يلزemon الزوايا ؛

(١) أى لم ينفج .

(٢) في الأصل : بهذه . . .

(٣) في الأصل (يمكن) .

(٤) في الأصل (مخاريق) . ومن الطريف أن ينسب إلى الرازي كتاب يدعى : (مخاريق الانبياء) مع أنه يرى من ذلك .

(٥) في الأصل (الممان) . . .

(٦) هنا تبدو ثقافة الرازي ، ويتضح مدى اطلاعه على معارف السابقين .

ويروجون صناعتهم وحيلهم ، على أهل ضعف // العقل (١) ص ١٨٤
من الرجال والنساء... (٢) وآراؤهم ، في استخدام من يخدمهم
متضاربة (٣) .

فمنهم من يريد طول المقام عنده ، ومنهم من يكرهه (٤) . فإذا
خففت على هؤلاء في الخدمة ، كان ذلك عندهم ضرباً من الخدمة .
فإن أمرك إزاهم بالتنبؤ (٥) ، وأقبل عليك بوجهه طلق ،
خير من أن يثقل رأسه عليك ، أو يصد بوجهه عنك .

(١) الرازي ذو فراسة قوية في فهم نفسية الأشخاص . . . هو يعرف .
جيداً كيف يعامل كل إنسان على حدة . وله رسالة في الفراسة ، لا تختار
مبادئها مع مبادئ العلم الحديث ، في هذا النوع من المعرفة . له : جل
أحكام الفراسة - ط - ١٩٢٩ .
(٢) في الأصل جملة رسمها هكذا : وأحفظ عن وصيته أشدد
ومختلفة .

(٣) في الأصل : (منضمة) .
(٤) د (يكرمه) .
(٥) د فاني أمرك أراهم بالسوء . وعلى أي حال
فاللغة متعثر .

واعلم أنك إذا تملك هذه الخصال ، ولازمتها في سائر الأحوال ، كنت حرياً بأن يخلصك الملوك والسوقة ، ويقبل عليك الخاصة والعامة . ولا تخلو في خلال ذلك من ثواب وذخر ، وجويل مثوبة ، وحسن ذكر (١) .

وفيما أعلمت من هذا الباب ، بهذا القدر (٢) (ما) فيه كفاية (٣) ، وغنى لمن نظر فيه ، وتدبره بعقله (٤) .

(١) من أصول فاسفة الرازي أن الله تعالى هو : (المالك لنا ، الذي منه نرجو الثواب ، ونخاف العقاب . ناظر لنا ، رحيم بنا لا يريد إيلائنا ، ويكره لنا الجور والجهل ، ويحب منا العلم والعدل) (السيرة الفلسفية ١٠١) .

(٢) يلاحظ هنا أن مؤلف الرازي هذا من الرسائل القصيرة . وهو يميل دائماً إلى الإيجاز ؛ لما فيه من بلاغة وتوفير جهد .

(٣) هذه الرسائل القصيرة التي ألفها الرازي ، كان يعتبرها بمثابة دستور في الطب . وقد صرح بهذا في حديثه عن كتابه (بره الساحة ص ٤) .

(٤) في الأصل (بعقل)

والله تعالى يوفقك^(١) للسداد ، فتسلك كل طرق^(٢) الرشاد ، بمنه
وجوده ولواهب العقل الحمد بلا نهاية ، كما هو أهله ومستحقه^(٣).

(١) في الاصل (موفقك) .

(٢) (طريق) .

(٣) (أهلي ومستحق) .

قائمة المراجع

أولا - مصادر من تأليف أبي بكر محمد بن زكرياء الرازي :

- ١ - الأسرار - ليران ١٣٤٣ هـ .
- ٢ - بره الساعة - القاهرة ١٩٣٦ .
- ٣ - جمل أحكام الفراسة - حلب ط ١ - ١٩٢٩ :
- ٤ - الحاوي - الهند - ط ١ - ١٩٥٥ .
- ٥ - الخصى في السكلى والمثانة - نشر / كورنيج - ١٨٩٦ ليد .
- ٦ - رسائل فلسفية - تحقيق ب كراوس مصر ١٩٣٩ وتشتمل على الوسائل الآتية :
 - ١ - أمارات الإقبال والدولة .
 - ب - العبرة الفلسفية .
 - ج - الطب الروحاني .
 - د - مقالة فيما بعد الطبيعة .
 - هـ - المناظرات .
- ٧ - سر الأسرار . ليران ١٣٤٣ هـ .

- ٨ - الفاخر في الطب ، نشر كوفينج ، ١٨٩٦ ليد .
٩ - المدخل للصغير إلى علم الطب ، مخطوط دار الكتب المصرية
ضمن مجموعة رقم ٤٣٨ ، ل .
١٠ - منافع الاغذية ودفع مضارها ، مصر ١٣٠٥ هـ .

ثانياً : مراجع

- ١ - د . أحمد أمين : ظهر الإسلام : ط ٣ ، ١٩٦٣ مصر .
٢ - أرسطو : المنطق (نظرية البرهان) تحقيق د . بدوي .
مطبعة دار الكتب المصرية ط ١٩٤٩ .
٣ - الدوميليل : العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي .
ترجمة د . عبد الحليم النجار ، د . محمد يوسف موسى .
دار القلم بمصر ، ط ١ ، ١٩٦٢ .
٤ - إميل لودفيج : الحياة والحب ، ترجمة عادل زعيتير ،
دار المعارف بمصر ١٩٥٠ .
٥ - برجسون : منبعا الاخلاق والدين . ترجمة د . سامي
الدروبي ، عبد الله عبد الدائم ، مكتبة نهضة مصر ، ط ١ ، ١٩٤٥ .
٦ - برناردشو : حيرة الطبيب ، ترجمة د . عمر مكاوي .
دار الفكر العربي ، ١٩٦٢ .

- ٧ - بولي (جون) : رعاية الطفل وتطور الحب
ترجمة د. السيد خيرى ، وزميلييه . دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .
- ٨ - جرينبام : حضارة الإسلام - ترجمة عبد العزيز توفيق .
مكتبة مصر ١٩٥٦ .
- ٩ - د : حسن سبيع : فلسفة الطب . دمشق - ط ٢ - ١٩٤٥
- ١٠ - حيدر بامات : محالى الإسلام . ترجمة عادل زعير - الحلبي
بمصر ١٩٥٦ .
- ١١ - دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام - ترجمة د محمد أبوريدة
مصر ١٩٣٨ .
- ١٢ - ديورانت : قصة الحضارة ترجمة محمد بدران . ط مصر :
- ١٣ - الشهردورى : نزهة الأرواح . مخطوط دار الكتب
المصرية رقم ١٢٠٥٠ : ح .
- ١٤ - عبد الرازق نوفل : المسلمون والعلم الحديث . مكتبة
طلابع بمصر ط ٢ .
- ١٥ - د عبد اللطيف محمد العبد : فلسفة أبى بكر محمد بن زكرياه
الرازى (رسالة دكتوراه بمدرسة الشرف الأولى - ١٩٧٥ كلية دارالعلوم
تحت الطبع) .

١٦ - علي بن العباسي المجوس : كامل الصناعة الطبية ، المطبعة الكبرى بمصر ١٢٩٤ هـ .

١٧ - مسالك الابصار بخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة ،

١٨ - الفوال : إحياء علوم الدين الحلبي بمصر ١٩٣٩ ،

١٩ - القشيري : الرسالة القشيرية صبيح بمصر ١٩٦٦ ،

٢٠ - القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، الخاتمي بمصر ط ١

١٣٢٦ هـ ،

٢١ - محمد زكي سويدان : التبريض والإسعاف بمصر ط ١٩٥٧ . ٢

٢٢ - د محمد كمال جعفر : التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً .

دار الكتب الجامعية بالإسكندرية ١٩٧٠

٢٣ - مصطفى لبيب : الكيمياء عند العرب دار الكتاب العربي

بمصر ١٩٦٧

٢٤ - د هاشم الوترى ، ود . معمر خاله : تاريخ الطب في الوراق

بغداد ١٩٣٩ ،

٢٥ - واتشلى (دانا) : الطبيب معالجاً وعالمًا ، ترجمة :

زكريا فهمي : دار الفكر العربي بمصر ،

٢٦ - يحيى الشريف (وزميله) الطب الشرعى ، مكتبة القاهرة

الحديثة ط ١ ١٩٥٨ ،

٢٧ - يحيى بن هبيرة اختلاف الأئمة ، خطوط دار الكتب المصرية

٢٣٣١٩ ب ،

ثالثاً : موسوعات

١ - ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء تحقيق د. تراز رضا: بيروت

دار مكتبة الحياة ١٩٦٥

٢ - ابن خلكان : وفيات الأعيان . تحقيق محمد محيي الدين :

المنهضة المصرية ١٩٤٩

٣ - ابن النديم : الفهرست المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٤٨ هـ ،

٤ - البغدادي (إسماعيل) : هدية العارفين . استانبول ١٩٥٥ ،

٥ - التهانوي : كشف اصطلاحات الفنون تحقيق د. لطفي عبد البديع

المنهضة المصرية ١٩٦٣ ،

٦ - الألب لويس معلوف اليسوعي : المتجدد في اللغة والأدب والعلوم

بيروت : ط ١٩٢٧ ،

٧ - د محمد زكي شافعي : دائرة معارف الطب والعلاج المنزلي

ط ٢ دار الفكر العربي بمصر :

٨ - محمد شفيق غربال (بإشرافه) : الموسوعة العربية الميسرة دار

القلم بمصر .

رابعاً : ذوريات

١ - مجلة/المباحث : العدد ٨ السنة الأولى ١٩٥٩ .

٢ - مجلة/المقتبس : ج ١٠ المجلد الثالث : نوفمبر ١٩٥٨ ،

٣ - مجلة / المقتطف : ج ٥ مجلد ٧٥ ديسمبر ١٩٢٩ ،

خامساً - مراجع إنجليزية

1 - Melanie Klein : The Psycho-Analysis of children.
London, 1954.

2 - Sarvepalli ; History of philosophy Eastern and
Western V 11 London, 1953.

فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مدنة المحقق
١٦	١ - دعاء وثناء
١٧	٢ - أصعب ألوان الطب
١٩	٣ - صيانة الطيب نفسه
٢١	٤ - ثقة الطيب
٢٥	٥ - أنواع العليل
٢٧	٦ - الرفق وحفظ السر في الطب
٣١	٧ - واجب المريض نحو الطيب
٣٥	٨ - نهى الطيب عن الكبر
٣٧	٩ - وجوب علاج الفقراء
٣٨	١٠ - نهى الطيب عن العجب
٣٨	١١ - توكل الطيب على الله تعالى
٣٩	١٢ - معرفة الحالة السرية قبل المرضية

الصفحة	الموضوع
٤٠	١٣ - النهى عن كثرة الكلام
٤٠	١٤ - غذاء المريض
٤٤	١٥ - استخدام الدواء
٤٦	١٦ - النهى عن ذكر السموم لدى الأمير
٤٧	١٧ - وجوب تقريب الطبيب
٦٥	١٨ - نهى الطبيب عن السكر
٦٧	١٩ - ملازمة الطبيب للمريض بعد الدواء
٦٨	٢٠ - ضرر كتمان السر
٧٠	٢١ - فصل المريض بعد معرفة حاله
٧٧	٢٢ - النهى عن التجربة في المريض
٨١	٢٣ التحذير من أدياء الطب
٨٤	٢٤ - نواضع الطبيب
٨٧	٢٥ - فضل الأطباء
٨٩	٢٦ - لا كهانة في الطب
٩٦	٢٧ - قائمة المراجع

رقم الإيداع لسنة ١٩٧٧
مطبعة دار البيان

2

Bibliotheca Alexandrina



0395418